المديح النبوى فى الشعر العربى فى الهند

خلال القرن العشرين

بحث جامعي لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

طلحه فرحان

تحت إشراف

البروفيسور فيضان الله الفاروقى

مركز الدراسات العربية والأفريقية

كلية الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهى ١١٠٠٦٧

(٢٠٠٨)

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली–110067

July 21, 2008

DECLARATION

I declare that the material in this dissertation entitled "***The Encomium on Holy Prophet in Indian Arabic Poetry During the 20th Century***" submitted by me is in the partial fulfillment of the requirements of the award of the degree of **Master of Philosophy** of this University. This is my original research work and it has not ever been previously submitted for any other degree of this or of any other University/Institution.

(TALHA FARHAN)
RESEARCH SCHOLAR

(Prof. F.U. FAROOQI)
SUPERVISOR
CAAS/SLL&CS/JNU

(Prof. S.A. RAHMAN)
CHAIRPERSON
CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi--110067.

Gram : JAYENU Tel. : 2670 4253 Telex : 031-73167 JNU IN Fax : 91-11-26742525

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى أبى الشفيق المحترم الذى غرس فى قلبى شغفا بلغة القرآن الكريم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلوٰة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله و صحبه أجمعين، أما بعد:

فلا يخفى على أحد يهتم بالدراسات الشعرية العربية ما للشعراء من مساهمات فى المديح النبوى و فى ذكر الجوانب المختلفة لحياة الرسول الكريم ﷺ بما فى ذلك الإسراء والمعراج والمعجزات والشمائل والصفات، وذلك لأن شخصية الرسول ﷺ كانت شخصية انسانية فريدة جامعة للخصائص العليا وللكمال الانسانى و للصفات الأسمى من الجمال البشرى مع طبيعة نورانية كريمة، ثم اختاره الله عز وجل لمقام سيد المرسلين و خاتم النبيين و رحمة للعالمين، فأحبه الناس حبا لا نظير له، و نتيجة لذلك برز فن المديح النبوى وازدهر على مر الدهور والأزمان، فلأداء ضريبة هذا الحب تسابق فيه الشعراء والأدباء من العرب والعجم وكل من أدلى دلوه و أخذ نصيبه حسب المؤهلات اللغوية والادبية و سلك مسالك متنوعة فى التعبير عما كان يجيش فى قلبه من عواطف الإجلال والإكبار تجاه النبى الكريم ﷺ.

و من أقدم الشعراء الذين قاموا بامتداح النبى الكريم ﷺ هو الأعشى ميمون بن قيس الذى مدح الرسول ﷺ بقصيدته الدالية، و كذلك منهم النابغة الجعدى الذى أنشأ قصيدة طويلة مدح فيها رسول الله ﷺ، و منهم كعب ابن زهير الذى مدح النبى الكريم ﷺ بقصيدته اللامية التى سارت على الزمان وقلدها الشعراء على العصور، و لقبت هذه القصيدة بالبردة لأنها أنشدت بين يدى الرسول ﷺ، و أعجب بها النبى ﷺ الى درجة حتى خلع بردته لكعب و وضعها عليه.

و حسان بن ثابت الانصارى كان شاعر النبى حقا، امتدح النبى ﷺ لصفاته الفاضلة و رسم الدين الاسلامى رسما مؤفقا، و له قصائد ممتازة فى مدح

النبي ﷺ ذكر فيها رسالته و جوانب حياته المختلفة من مكارمه و اخلاقه و جمال وجهه و شمائله و عاداته، و سار على غراره كثير من الشعراء حتى كان القرن السابع للهجرة، فوضع محمد بن سعيد البوصيرى عددا من القصائد فى مدح الرسول ﷺ و أطال فى بعضها حتى بلغ فى الهمزية ما ينيف على أربعمائة بيت، و قصيدته التى سماها بالبردة معروفة فى مدح النبى ﷺ و حفظتها الأجيال الاسلامية فى اقطارها و رتلتها فى مناسباتها الدينية، و شرحها الشارحون منذ القرن الثامن حتى اليوم شروحا عدة.

و لم يخل القرن الماضى من شعراء امتدحوا النبى ﷺ، فقد أنشأ محمود سامى البارودى قصيدة دينية سماها "كشف الغمة فى مدح سيد الأمة" جعل فيها سيرة النبى ﷺ من مولده الى انتقاله، و هذه القصيدة ميمية وكذلك مدح النبى بقصيدة اخرى و هى جيمية.

و أنشأ احمد شوقى فى مدح النبى ﷺ قصائد عدة منها "الهمزية النبوية" كما نظم بعض القصائد الأخرى منها القصيدة البائية والقصيدة التائية وغيرها.

و فى مصر أنشد كثير من الشعراء فى مدح النبى ﷺ، وقد نظم الشاعر المصرى محمد عبد الغنى حسن ديوانا كاملا فى مديحه سماه "من وحى النبوة" لا يعرف له مثيل فى الادب العربى، والشعراء فى الاقطار العربية ما يزالون يرسلون المدائح فى النبى و يمدحونه لكل ذكرى و يستعيدون تاريخه و سيرته لكل مناسبة، و لهذا نجد فى كل ديوان شعرا فى النبى، يشيد باسمه كما أشاد القدماء منذ حسان، فقد أنشد انور العطار و عمر ابو ريشة و احمد مظهر العظمة و عدنان مردم و غيرهم قصائد كثيرة نشرتها الصحف و حملتها الدواوين الى القراء.

و أما ما يتعلق بشعراء الهند فنجد انهم ليسوا متخلفين من احد فى مجال الشعر، و ذلك لأن الهند لم تكن غريبة لدى العرب فى العصور الماضية حتى فى عصور ما قبل التاريخ، و كانت لها ارتباط بالعالم بروابط التجارة و صلة الدين و

السياسة والثقافة و تبادلات فى المجالات المختلفة، فتأثر علماء الهند بالنتاج العلمى الأدبى للعرب كما تأثر العرب بدورهم فى مختلف المجالات الادبية العربية والاسلامية، فأما المساهمات الأولية فى آداب اللغة العربية فانها قد بدأت على ايدى اولئك الذين كانوا من الاصل العربى و قدموا الى هذه البلاد فى عهد الفتوح الاسلامية العربية واستوطنوا فيها، ثم كان هناك عدد كبير من الهنود الذين هاجروا من الهند و خاصة من السند الى العالم العربى واستقروا به، وأشهرهم ابوالعطا افلح بن يسار السندى، و كان من أبرز الشعراء لعصره، و يكفى لتقدير مستواه فى الشعر أن أبا تمام مؤلف الحماسة قد نقل ثلاثة من ابياته فى باب الحماسة، و منهم الفقيه العالم نجيح بن عبدالرحمن ابو معشر السندى صاحب المغازى، و موسى بن المهدى وابن دهن الهندى الحكيم و غيرهم.

اما الذين ولدوا و نشأوا فى الهند و نالوا سمعة لمساهمتهم فى الادب العربى فأولهم هارون بن موسى الملتانى من شعراء القرن الثالث الهجرى، ومنهم مسعود بن سعد سلمان اللاهورى، و كان ينظم الشعر باللغة العربية بجانب الفارسية والهندية، و منهم امير خسرو بن سيف الدين الدهلوى الشاعر المعروف للغة الفارسية الذى كان ينظم الشعر باللغة العربية ايضا، ويحتوى ديوان شعره على قصائده العربية، ومن شعراء العربية فى الهند القاضى عبدالمقتدر الكندى و شاه احمد الشريعى و عبدا الجليل البلغرامى و غيرهم كثيرون الذين كانت لهم جولات و صولات فى الشعر العربى فى الهند.

واما ما يتعلق بالمديح النبوى العربى فنجد كثيرا من الشعراء الهنود الذين أنشدوا و أنتجوا فى هذا المجال، فعلى سبيل المثال قصيدة القاضى عبدالمقتدر الكندى اللامية من أشهر القصائد فى مدح النبى ﷺ، و هذه القصيدة نسجها القاضى عبدالمقتدر على منوال لامية العجم، ولاقت القصيدة كثيرا من الإعجاب والتقدير، و من الشعراء الآخرين الشيخ احمد بن محمد التهانيسرى من علماء القرن

الثامن للهجرة، وله قصيدة دالية معروفة فى مدح النبىﷺ، ومنهم العلامة الشاه ولى الله الدهلوى الذى كان يمتاز بقدرته على الشعر فى اللغة العربية، و له قصائد ممتازة فى المديح النبوى، و منهم الشاعر الكبيرالعلامة غلام على آزاد البلغرامى، و كان يسمى حسان الهند لقصائده الغراء فى مدح الرسولﷺ كما كان يلقب "خاقانى" الشاعر المعروف للغة الفارسية بحسان العجم، و منهم الشيخ عبدالعزيز الدهلوى والشاه رفيع الدين عبدالوهاب بن شاه ولى الله الدهلوى والشيخ باقر بن مرتضى المدراسى والشيخ نواب صديق حسن خان و فيض الحسن السهارنفورى و غيرهم كثيرون الذين ساهموا كثيرا فى المديح النبوى باللغة العربية.

و اما الشعراء الذين قاموا بإنشاد القصائد فى مدح الرسولﷺ باللغة العربية خلال القرن العشرين فهم ايضا كثيرون، فمنهم الشيخ فضل حق بن فضل امام الخيرآبادى الذى كان شاعرا كبيرا باللغة العربية، ويزيد شعره على قول صاحب " نزهة الخواطر" على أربعة آلاف بيت، وأكثر قصائده فى مدح النبىﷺ وبعضها فى هجاء الكفار.

ومما يجدر بالذكر بصدد فضل حق الخيرآبادى، بأنه كان من شعراء القرن التاسع عشر، ولكننى وضعته فى صف شعراء القرن العشرين نظرا لمساهماته الجليلة الهامة فى المديح النبوى، و ايضا لأنه أقرب من القرن العشرين زمنا.

ومن شعراء المديح النبوى فى القرن العشرين الشيخ حبيب الرحمن العثمانى وله قصيدة طويلة بل هى أطول قصائده فى المديح النبوى و تعرف بلامية المعجزات او مائة معجزة، كما له بعض القصائد الاخرى فى الموضوع.

ومنهم العلامة انور شاه بن محمد شاه الكشميرى، وله عدة قصائد فى موضوع المديح النبوى، و كان العلامة الكشميرى شاعرا جيدا ذا قدرة غير عادية على نظم الشعر، و اسلوبه فى الشعر هو اسلوب فحول الشعراء من العصر الجاهلى والاسلامى.

ومن الشعراء الآخرين الذين قرضوا قصائد عدة فى المديح النبوى الشيخ احمد بن عبدا القادر الشافعى الكوكنى و الشيخ على بن ابى الحسن الشيعى التسترى الحيدرآبادى والشيخ عبدالحى بن احمد السورتى والشيخ عبدالمنعم الجاتغامى والعلامة حبيب ابو بكر بن شهاب العلوى والشيخ محمد وحيدالدين العالى الحيدرآبادى والشيخ اشرف الشمسى الحيدرآبادى والشيخ عبدالرحمن السيوهاروى والشيخ عبدالقديرالحيدرآبادى والسيد ابو محمد طاهر سيف الدين والشيخ محمد ادريس الكاندهلوى والشيخ محمد يوسف البنورى و غيرهم كثيرون .

و لا شك فى ان هذه القصائد التى أنشدها شعراء الهند فى المديح النبوى لها اهمية كبرى فى الادب العربى الهندى و لها مكانة مرموقة فيه، و اسلوبها، عند معظم الشعراء، اسلوب جزل ناصع رصين، و لكن من ناحية المعنى هى لا تتجاوز عن قصائد الشعراء العرب، و ذلك لأن شمائل الرسول الكريم ﷺ و اخلاقه و عاداته وكمالاته ومعجزاته والجوانب الاخرى لحياته تبتدأ من مستوى عال رفيع حيث ينتهى خيال الشاعر، ولكن هذا الموضوع مفضل و محبب لدى الشعراء الهنود لأن اكثرهم كانوا علماء و رجال الدين الاسلامى .

ففى هذه الدراسة التى اقدمها لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراة، قمت بإيرادالنماذج من القصائد فى المديح النبوى التى فاضت بها قرائح الشعراء الهنود باللغة العربية خلال القرن العشرين، والتى عثرت عليها فى بطون الكتب العلمية ودواوين الشعر و كتب التراجم والطبقات و صفحات المجلات والجرائد، ثم علقت عليها مع سرد تراجم الشعراء و بيان مكانتهم العلمية والادبية بالتفصيل حينا و بالايجاز حينا آخر حسب الاقتضاء .

و كل هذا اقتضى ان ارتب هذه الدراسة على النحو التالى:

الباب الأول: تطور المديح النبوى فى الادب العربى: حاولت فى هذا الباب ان ألقى نظرة عابرة على تطور المديح النبوى و نشأته وازدهاره فى الادب العربى منذ

عصر الرسول ﷺ الى عصرنا الحاضر۔

الباب الثانی: شعراء المديح النبوی الكبار فی الهند: و لهذا الباب اربعة فصول۔

الفصل الاول: بعض شعراء المديح النبوی من المتقدمين

الفصل الثانی: الشيخ فضل حق الخيرآبادی

الفصل الثالث: الشيخ حبيب الرحمن العثمانی

الفصل الرابع: العلامة انور شاه الكشميری

ففی الفصل الاول ذكرت بالايجاز بعض شعراء المديح النبوی من المتقدمين الذين كان أكثرهم من المكثرين فی إنشاد القصائد فی مدح النبی ﷺ، و هم: القاضی عبدالمقتدر الكندی الدهلوی والشيخ احمد بن محمد التهانيسری والشاه ولی الله الدهلوی و حسان الهند السيد غلام علی آزاد البلغرامی و الشيخ عبد العزيز الدهلوی والشاه رفيع الدين الدهلوی والشيخ باقر بن مرتضی المدراسی، و أوردت فيه النماذج من قصائدهم فی مدح النبی ﷺ۔

و فی الفصل الثانی ألقيت الضوء علی حياة الشاعر الكبير الهندی الشيخ فضل حق الخيرآبادی وعلی مكانته العلمية والادبية و أوردت النماذج من قصائده فی المديح النبوی التی عثرت عليها۔

و فی الفصل الثالث ذكرت الشيخ حبيب الرحمن العثمانی و ألقيت الضوء علی مساهمته فی باب المديح النبوی۔

و فی الفصل الرابع قمت بتسليط الضوء علی حياة العلامة انور شاه الكشميری و علی مكانته العلمية والادبية و أوردت فيه النماذج من انتاجاته الشعرية فی مختلف الموضوعات و خاصة فی المديح النبوی۔

الباب الثالث: الشعراء الهنود الآخرون و قصائدهم فی مدح النبی ﷺ: فی هذا الباب ذكرت اثنی عشر شاعرا من الشعراء الهنود فی القرن العشرين، و ألقيت الضوء علی قصائدهم فی الموضوع وأوردت النماذج منها، و هم: الشيخ احمد بن

عبدالقادر الشافعی الکوکنی، والشیخ علی بن ابی الحسن الشیعی التستری الحیدرآبادی، والشیخ عبدالحی بن احمد السورتی، والشیخ عبدالمنعم الجاتغامی، والعلامة حبیب ابو بکر بن شهاب العلوی، والشیخ محمد وحیدالدین العالی الحیدرآبادی، والشیخ اشرف الشمسی الحیدرآبادی، والشیخ عبدالرحمن السیوهاروی، والشیخ عبدالقدیر الحیدرآبادی، والسید ابو محمد طاهر سیف الدین، والشیخ محمد ادریس الکاندهلوی، والشیخ محمد یوسف البنوری۔

و فی خاتمة هذه الدراسة ذکرت بعض میزات المدیح النبوی و خصائصه کما ذکرت أهم النتائج التی وصلت الیها أثناء دراستی لهذا الموضوع، و فی النهایة وضعت قائمة المصادر والمراجع۔

و لا بد لی أن اقدم جزیل الشکر والامتنان لأستاذی المشرف البروفیسور الدکتور فیضان الله الفاروقی حفظه الله الذی قدّم لی من نصحه و ارشاده و تشجیعه و توجیهه دروسا لن أنساها طیلة حیاتی، کما علیّ ان أبدی مشاعر العرفان والشکر لجمیع الاساتذة والاصدقاء والزملاء الأعزاء الذین تعاونوا فی اعداد هذا البحث وأرجو ان یکون التوفیق قد حالفنی فی جهدی هنا، و اعتذر عن نواحی النقص والتقصیر، فالکمال لله وحده۔

طلحه فرحان
٣٤٩، جهیلم هوستل
جامعة جواهر لال نهرو
٢٠٠٨/٧/٢١م

الباب الأول

تطور المديح النبوى فى الأدب العربى

تطور المديح النبوى فى الأدب العربى

المديح فن الثناء والإكباروالاحترام، قام بين فنون الأدب العربى مقام السجل الشعرى لجوانب من حياتنا التاريخية، اذ رسم نواحى عديدة من أعمال الملوك، و سياسة الوزراء وشجاعةالقوادوثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا و كشف عن بعض الزوايا، و أضاف الى التاريخ ما لم يذكره التاريخ، فساعد على إبراز كثير من الصفات والألوان و زاد فى شهرة أناس كثيرين أحاطهم بالرعاية و رفعهم الى الذروة فجعلهم فى مصاف الأعلام، والسبب فى ذلك أن الانسان منذ فجر التاريخ أحس بالفوارق الاجتماعية بينه و بين أخيه الانسان، و شعر باختلاف المواهب والقيم عند الناس، و رأى الأقدار تضع و ترفع و تعطى و تمنع، لذلك سعى الى رضا من هم فوقه، ووقف منهم موقف الاحترام والتودد، فكانت أقواله تعبر عن المديح، و قد اهتم الشعراء فى هذاالمجال اهتماما كبيرا و راعوا رعاية عظيمة بهذالفن، لأنهم اذا رأوا الصفات المثلى والفضائل البارزة فى ممدوحيهم و أعجبوا بها ذكروها فى قصائدهم، و تاريخ الأدب لا سيماتاريخ الأدب العربى ملئ بهذالنوع من القصائد، كقول المتنبى فى مدح سيف الدولة:

فأنت حُسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد
أحبك يا شمس الزمان و بدره وان لامنى فيك السُها والفراقد(١)

والمعروف أن المديح كثير الأنواع لا يكاد يحصره تقسيم أو تبويب، كما نجد فى الادب العربى نماذج كثيرة فى مديح الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد والوجهاء والعلماء والأدباء و غيرهم، كما ذكرت آنفا على سبيل المثال قول المتنبى فى مدح سيف الدولة. وكذلك نجد المديح الدينى والاشادة بفضائل النبى الكريم ﷺ والثناء على اهل بيته والدعوة لهم فى الخلافة والحكم، و لكننى أنا بصدد المديح النبوى و تطوره فسأذكره فى هذاالباب بالايجاز لكى يظهر ما كان للنبى ﷺ من احترام و

مؤدة و محبة عند الشعراء .

لو رجعنا الى تاريخ المديح النبوى لوجدنا قصائد لا تحصى فى مدح الرسول الكريم ﷺ و فى ذكر الجوانب المختلفة لحياته بما فى ذلك الاسراء والمعراج و المعجزات والشمائل، و قد نشأ هذاالصنف الادبى و تطور منذ أن أرسل الله تبارك و تعالى محمدا ﷺ الى كافة الناس بشيرا و نذيرا،و ذلك لأن العرب كانوا يعيشون فى أطراف الارض على نظام عجيب و اسلوب غريب لا تجمعهم دولة و لا ينظمهم قانون واحد، يدينون طورا بالنصرانية و حينا بالوثنية او اليهودية، يخضعون لكسرى او لقيصر،او لما تحتهما من نفوذ، و يحيون على عشائر و قبائل تتناحر و تتصادم، يختلف اليها البؤس والتشريد والجور، فكأنها تنتظر زعيما يجمع شملها و إماما يوحد بين آرائها،فلما ظهر محمد ﷺ فى قريش و دعا الى وحدة العرب و اتحادهم و اجتمائهم تحت دين واحد و راية واحدة ليخرجهم من الظلمات الى النور و لينقذهم من فوضى شلت حياتهم و حروب استنفذت قواهم و استعمار استذلهم ، هزت دعوته القبائل و رؤساء ها، و بلغت الممالك المجاورة وملوكها، فوقفت بين مصدقة و مكذبة، حتى اذا بلغها ما كان عليه الرسول من تعلق بالحق والوفاء والقناعة والتواضع، ومن مقدرة فى البلاغة والفصاحة والبيان والسياسة، ومن مكانةفى الشجاعة و قيادة الجيوش، هال هذه القبائل والرؤساء والملوك أمرُه و أذهلها خطرُه، فا نصرف بعضهم اليه وانصرف بعضهم عنه، ووقف له شعراء يتصدون للهجوم عليه كما وقف شعراء فى الدفاع عنه وامتداحه.(٢)

و كان هذاالمديح أول الأمريقتصر على امتداح خصاله و شمائله ورسالته، و هو حى، فلما قضى انصرف الشعراء الى الثناء عليه و تعداد صفاته والاشادة بالدين والاسلام، وهذا من المذيح لأنه يتوجه بكلامه الى النبى ﷺ كأنه موجود حى يناديه ويناجيه فيسمعه ويلبيه، ولأنه يحقق مبادئ هذاالفن، من تمدح لشجاعته واستحسان لأخلاقه و مزاياه واعجاب بصباحة وجهه، وأما ما كان من الابيات فى

الأسف لفقده والبكاء لذهابه فهو فى الرثاء و له مجال آخر.(٣)

ومن أقدم الشعراء الذين قاموا بامتداح النبى الكريم ﷺ هو الأعشى ميمون بن قيس الذى مدح الرسول بقصيدته الدالية، يريد بها وجه النبى ﷺ، ولكن قريشا صرفته عن الوصول الى الرسول ﷺ ، و خلت القصيدة من قدسية إلقاء هابين يدى الرسول ﷺ ، لذلك لم يعرها الشعراء أهمية، ولو قدر لهذاالشاعرأن ينشدها أمام الرسول ﷺ و يسلم كما أسلم كعب بن زهير، لكان لها فى تاريخ المدائح النبوية شأن آخر، و مطلع هذه القصيدة:

ألم تغتمض عيناك ليلةأرمدا　　فبتَّ كما بات السليم مسهّدا

ويقول فيها:

نبي يرى ما لا يرون و ذكره　　أغار لعمرى فى البلاد و أنجدا

له صدقات ما تغبّ و نائل　　وليس عطاء اليوم مانعَه غدا(٤)

وهكذا امتدح للنبى ﷺ الندى والجود على عادة الجاهليين، و بسط ما للنبى من ذكر عاطر سار فى الأغوار والنجود، فطار البلاد و عم الأقطار، وله صدقات وعطاء لا ينقطع، وهذا مديح ليس فيه ذكر للدين والتقوى والاخلاق، و لعل ذلك لأن الأعشى بعيد عن فهم الدين ومبادئه، أو لعله لم يألف هذااللون من المديح الدينى ولم يسمع به من قبل.

وجاء نا أن النابغة الجعدى أنشأ قصيدة طويلة مدح فيها رسول الله ﷺ فقال:

أتيت رسول الله اذجاء بالهدى　　ويتلو كتابا كالمَجَرَّة نيّرا

وجاهدت حتى ما أحِسّ ومن معى　　سُهيلا اذا ما لاح ثُمَّتَ غَوّرا

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها　　وكنتُ من النار المخوفة أوجرا(٥)

فالرسول جاء بالهدى و دين الحق يتلو القرآن نيرا كالمجرة فى السماء يأمر بالتقوى والفعل الجميل، و قد آمن النابغة و قام بالدين خوف النار المخوفة.

وأما كعب بن زهير فقد مدحه بقصيدته اللامية التى سارت على الزمان، و قلدها الشعراء على العصور، بدأهابالنسيب الخالص ووصف فيها ريق سعاد، ويشبهه بالخمر، فيقول:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيّم إثرها لم يفد مكبول(٦)

وقد أنشد هذه القصيدة الطويلة بين يدي الرسولﷺ وأمام جمهور من الصحابة والمسلمين الأوائل، وقد أعجب بها الرسولﷺ الى درجة عفا عن كعب و خلع بردته ووضعها عليه، ولقبت هذه القصيدة من أجلها بالبردة.(٧)

وهذه القصيدة من أشهر القصائد القديمة التى قيلت فى مدح الرسولﷺ والاسلام والمسلمين، و ذلك لقدمها و قوة سبكها و جمال معانيها، و لأنها أنشدت بين يدى الرسولﷺ.

وينتقل كعب بن زهير، بعد بداية قصيدته بمقدمة غزلية طويلة، الى وصف ناقته وما زال ينعت ناقته حتى قال يصور خوفه و فزعه من رسول اللهﷺ و يعتذر و يطلب العفو من النبىﷺ لما بدر منه، فيقول:

وقلت خلوا طريقى لاأبا لكم فكل ما قدّر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تاخذنى بأقوال الوشاة و لم أذنب و كثرت عنى الأقاويل
ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
لَذاكَ أهيب عندى اذ اكلمه وقيل: انك منسوب ومسئول
من ضيغم من ضراء الأُسُد مَحذَرُه ببطن "عثَّر" غيل و دونه غيل(٨)

ويستمر فى مدح الرسولﷺ حتى نهاية القصيدة التى بلغت ثمانية و خمسين بيتا(٩) و يذكر فيها أن رسول اللهﷺ كريم متسامح يقبل العفو و

المعذرة، و هو الذى حمل الى المسلمين هدية كبيرة هى القرآن و فيه المواعظ البالغة و ما يحتاج اليه المسلمون فى أمورهم.

وحسان بن ثابت الانصارى كان شاعر النبىﷺ حقا، وله شعر كثير فى مدح الرسولﷺ والمسلمين والدفاع عنه و عنهم، و كان يعبر فيه عن عاطفته الدينية التى تشربت بحب الاسلام والمسلمين، وكان يمتدح النبىﷺ لصفاته الفاضلة و يرسم الدين الاسلامى رسما موفقا، و قصيدته الهمزية .. عدمنا خيلنا..من أشهر القصائد فى مدح النبىﷺ ، و مطلعها:

عفت ذات الاصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء(١٠)

بدأهذه القصيدة بذكر الاطلال والغزل ووصف فيهاريق من يحب وشبهه بالخمرووصف الخمر، ثم خلص من ذلك الى مديح الرسول، فيقول:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق ان نفع البلاء

شهدت به، فقوموا، صدقوه! فقلتم: لا نقوم ولا نشاء

فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وِقاء(١١)

وفى هذا بسط حسان ما كان من خير على يد النبى، و دعا الى تصديقه والايمان به، فرسمه رسولا هاديا يهدى العقول الضالة والاحلام الشاردة.

يقول الدكتور سامى مكي العاني أن أكثر شعراء صدرالاسلام قد كرسوا قدرا كبيرا من شعرهم لمدح صاحب الرسالة ﷺ، ولرسم صورةشعرية لذاته الكريمة، وقد رسم حسان بن ثابت فى مدحه هذه الصورة، وفى هذه الصورة الشعرية جمال الخلق والخلقة معا، فحسان لم ير أجمل من النبىﷺعلى الاطلاق، ولم تلد النساء من يدانيه فى جماله، و هو مبرأ من كل عيب، و كأنه عليه الصلاة والسلام خلق على الصورة التى ارتضاهالنفسه، والكمال الذى شاء ه لذاته، فهو الكمال المجسم، والخلق المصفى(١٢) فيقول حسان:

وأحسن منك لم ترقط عينى وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء(١٣)

وكذلك يمدح حسان النبىﷺ فى قصيدته الدالية، وهذا مديح دينى خالص، فيقول:

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبى الى اسمه اذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

و شق له من اسمه ليُجِلَّه فذوالعرش محمودوهذامحمد(١٤)

فالنبى ناصع البياض فى خلقه، كريم فى أفعاله مشرق فى خصاله وصفاته، عليه طابع النبوة واضح ظاهر، وكرّمه الله بضم اسمه الى اسمه تعالى حين تتلى الشهادة فى الصلوات الخمس لكل يوم وشق له من اسمه اسما ليرفع شأنه، فالله تعالى محمود و هو محمد.

وأما الجانب الآخر من هذه الصورة الشعرية فهو أثرالرسولﷺ فى الجزيرة العربية خاصة، والعالم عامة، ونوره الذى عمّ الأرجاء، فهو كالهلال فى نوره و رحمته للعباد، يلوح فى دياجير الظلام الذى اكتنف العالم كسيف ابيض صقيل، ولكنه لا يضرب ولا يبطش و انما يدعو الى كل خير، مبشرا بالجنة، منذرا بالنار:(١٥)

نبى أتانا بعد يأس و فترة من الرسل والأوثان فى الأرض تعبد

فأمسى سراجا مستنيرا و هاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند

وأنذرنا نارا، وبشر جنة وعلّمنا الاسلام، فالله، نحمد(١٦)

ولحسان بن ثابت قصائد غراء فى مدح النبىﷺ، وديوانه يحتوى أكثر من تسع قصائد يذكر فيها النبى الكريمﷺ ورسالته وجوانب حياته المختلفة من مكارمه واخلاقه و جمال وجهه و شمائله و عاداته وما الى ذلك، فمثلا فى قصيدته الدالية ''فينا الرسول'' يقول:

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات، ونصرغير محدود

واف وماض شهاب يستضاء به بدرأنار على كل الأماجيد

مبارك، كضياء البدر صورته ما قال كان قضاء غير مردود(١٧)

وكذلك له قصيدة فى مدح الرسول العربىﷺ، ومطلعها:

والله ربى لا نفارق ماجدا عف الخليقة، ماجدالأمجاد(١٨)

وكذلك قصيدة حسان فى حديث أم معبد معروفة يمدح فيها النبى الكريمﷺ حيث يقول:

لقد نزلت منه على اهل يثرب ركاب هدى، حلت عليهم بأسعد

نبى يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مسجد

وان قال فى يوم مَقالةَ غائب فتصديقها فى اليوم أوفى ضحى الغد(١٩)

يذكر حسان فيه أن الرسولﷺ قد حل بركة على المدينة و أهلها، و فى ركابه الهدى والسعوديتلو كتاب الله فى كل مسجد، وقوله لا بد سائر الى القلوب تؤمن به و تصدق رسالته تسير بهديه.

وحين أنشد حسان رضى الله عنه للمصطفىﷺ و قال:

شهدت، باذن الله، أن محمدا رسول الذى فوق السموات من عل

وأن أبا يحيى و يحيى كليهما له عمل فى دينه متقبل

وأن الذى عادَى اليهودُ ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل

وأن أخاالأحقاف اذ يعذلونه يقوم بدين الله فيهم، فيعدل

فقال رسول الله ﷺ، أنا أشهد معك.(٢٠)

وكذلك قال حسان فى النبىﷺ قصيدة يذكر فيها حياة الرسولﷺ قبل الهجرة و بعدها، فيقول:

ثوى فى قريش، بضع عشرة حجة يذكِّر، لو يَلقى صديقا(٢١)مؤاتيا

ويعرض فى أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوى، ولم ير داعيا

فلما أتانا، واطمأنت به النوى فأصبح مسرورا، بطيبة، راضيا

وأصبح لا يخشى عداوة ظالم قريب، ولا يخشى، من الناس، باغيا

بذلنا له الاموال من جل مالنا وأنفسنا، عند الوغى، والتآسيا

نحارب من عادى من الناس كلهم جميعا،و ان كان الحبيب المصافيا

ونعلم أن الله لا رب غيره وأن كتاب الله أصبح هاديا(٢٢)

وبجانب هولاء الشعراء المذكورين فى العصر الاسلامى كان هناك شعراء آخرون أنشدوا فى المديح النبوى قليلا أو كثيرا، وذكروا فى أشعارهم المبادى الاسلامية على نحو ما نرى فى قول أسيد بن أناس فى مدح رسول الله ﷺ:

وأنت الفتى تهدى معدا لدينها بل الله يهديها وقال لك اشهد(٢٣)

وكذلك يقول كعب بن مالك فى مدح النبى ﷺ:

وفينا الرسول شهاب ثم يتبعه نور مضئ له فضل على الشهب

الحق منطقه والعدل سيرته فمن يجبه اليه ينج من تب(٢٤)

وكذلك يمدح كعب بن مالك رسول الله ﷺ و يقول:

وفينا رسول الله تتبع أمره اذا قال فينا القول لا نتطلع

تدلى عليه الروح من عند ربه ينزّل من جوالسماء و يرفع(٢٥)

وهكذا جمع كعب و حسان و غيرهما من الشعراء فى ديوانهم سيرة الرسول ﷺ و مفاخره و محامده و أياديه فى السلم والحرب، فى الدين والدنيا معا، وبعد هولاء الشعراء كان مدح الرسول ياتى عرضا ضمن القصائد التى تقال فى مدح أهل البيت و لا سيما عند الفرزدق، والكميت، ودعبل، والشريف الرضى، ومهيار، وظل الشعراء يفعلون على هذاالنمط على مدى العصور، سواء فيهم من تديّن أمن لم يتدين، وقد أنشد أبو العلاء المعرى فى القرن الخامس فى الدين الاسلامى و فى الرسول ما يشبه قول حسان على بعد الزمان بينهما فقال:

دعاكم الى خير الأمور محمد ولينس العوالى فى القنا كالسوافل

حداكم على تعظيم من خلق الدجى وشهب الدجى من طابعات وآفل

وحث على تطهير جسم و ملبس وعاقب فى قذف النساء الغوافل

وحرم خمرا خلتُ ألباب شربها من الطيش ألباب النعام الجوافل(٢٦)

فمدح الرسول برسالته، وعدد الفروض والنوافل، ولخص اركان الدين من طهارة وعبادة، وتحريم للخمر وذهاب مع الرشاد والخير، وسار على غرار حسان كثير من الشعراء حتى كان القرن السابع للهجرة، و فى هذا القرن ازدهر فن المدائح النبوية و صار غرضا مستقلا حيث توجهت قرائح بعض الشعراء الى مدح الرسول الكريمﷺ وتمجيده، والتغنى بشمائله، والتشفع به، بشكل عجيب يلفت النظر اليه ويسترعى الانتباه عليه.

والذى ساعد على ازدهار هذاالفن ونضجه هو الميل الكبير الى العمل بالسنة النبوية والتمسك الشديد بها، وصعوبة الظروف التى أحاطت بالأمة الاسلامية، وقسوة الحياة على الناس حيث جعل ذلك الأنظار تتجه الى الرسول طلبا للعون والشفاعة، كما كان للتصوف أثره الكبير فى نشأة هذاالفن وازدهاره فى هذاالعصر (القرن)، وكان لاهتمام الصوفية بالذكر والسماع أن ازدادت حاجتهم الى قصائد دينية تنشد فى مجالسهم، فكان أن نظمت المدائح النبوية لهذاالغرض.

وعلى قول"عبدالكريم توفيق العبود" فى كتابه"الشعر العربى فى العراق، من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد" فن المدائح النبوية فى هذاالعصر فن جديد مستحدث فى الشعر العربى فى العراق، و هو ابن البيئة العراقية، فى ظلالها نشأ،وازدهر، ونضج، و ذلك فى النصف الاول من القرن السابع الهجرى، و من المحتمل أن الشعر العربى فى البيآت الأخرى قد تأثر به، لأن ظهوره فيها بشكل واضح و مكتمل كان متأخرا عن ظهوره فى العراق بالشكل المبين، وقد وضح واكتمل هذاالفن خلال النصف الاول من القرن السابع الهجرى على يد الشاعر المصرصرى (٥٨٦-٦٥٦هـ) و على يد أبى عبدالله محمد بن أبى بكر رشيد البغدادى

الشافعى الواعظ(٦٦٢هـ).(٢٧)

فالصرصرى شاعر هام فى حب الرسول،فملك هذا الحب جوانحه و فكره، و راح يتغنى بحبه له، و يشدو بمآثره، فكان بحق أعظم الشعراء فى باب المدائح النبوية، فهو لم ينظم الشعر الا فى الغرض الدينى، بل لم ينظمه الا فى مدح الرسول و دينه، وقد كان مكثرا من هذاالمديح الى درجة لا تكاد تصدق، ويبدو أنه كان يتمتع بقريحة شعرية عظيمة فياضة قل نظيرها،فشعره الغزير هذا يمثل صدى عظيما لهذه القريحة، وكان طويل النفس فى قصائده النبوية،فقد بلغت احداها التى سماها "الروضة الناضرة فى اخلاق محمد المصطفى الباهرة" ثمانمائة و خمسين بيتا،و مطلعها:(٢٨)

سبحان ذى الجبروت والبرهان والعز والملكوت والسلطان(٢٩)

وله قصيدة لامية فى الغرض نفسه عدتها خمس ما ئة وسبعة و خمسون بيتا، و مع هذا كله يسره بأن صفات الرسول لا يمكن حصرها، و يعلن أن الشعر الذى قرضه فى مدحه يمثل جهد المقل، وذرة من بحر حيث يقول:(٣٠)

يا نبى الهدى صفاتك يعيى حصرها كل شاعر معنوى

غير أنى قد سقت جهد مقل ذرة من قراره اللجى(٣١)

لم يذع صيت هذاالشاعر كما ذاع صيت البوصيرى (٦٠٨-٦٩٦هـ)صاحب البردة، ولم يشتهر كاشتهاره على الرغم من أن شعره لا يقل جمالا عن شعره، وأن مدائحه أكثر من مدائح البوصيرى بكثير، وأنه لم ينظم الا فى الغرض الدينى بينما نظم البوصيرى فى أغراض أخرى غير دينية.

وضع محمد بن سعيد البوصيرى عددا من القصائد فى مدح الرسول و أطال فى بعضهاحتى بلغ فى الهمزية ما ينيف على أربعمائة بيت(٣٢) بسط فيها حياة النبى و فضائله و مزاياه، ومعجزاته و رسم مولده فى ليلة غراء، وضعته فيها آمنة بنت وهب ، فنالت من فخار ما لم تنله النساء، وشرفت به بنات حواء، وأتت قومها بأفضل

مخلوق، ثم بسط النسب الشريف، وذكر خوارق الولادة، ووصف تداعى الأيوان وانطفاء النار، و بسط المعجزة الكبرى فى القرآن من رقيق اللفظ ورائق المعنى، كأنها الحب والنوى أعجب الزراع وأدهش القراء حتى حسبوا أنه سحر، وقد قال فى شمائل النبى ﷺ:

سيد ضحكه التبسم والمشـ ـى الهوينى ونومه الإغفاء

ما سوى خُلقِه النسيمُ ولا غيـ ـرُ محيّاه الروضة الغنّاء(٣٣)

يقول إنّ النبى متئد فى مشيته، جميل فى تبسمه، خلقه كالنسيم رقة، ومحياه كالروضة الغناء ائتلافا، وسع العالمين حلما و علما، فهو بحر خضم زاخر بالمجد والخلق الرفيع، ولذلك خضعت لدينه الأقوام و سارت الى رايته الأمم، والقصيدة كلها على هذاالنمط من المديح الدينى تصورالايمان والخشوع والتقوى والورع والتشفع والرجاء، والتعلق بأهداب الدين والفرح بالرسالة، وهى مهداة الى سيد الرسالة كباقة من أفكاردينية تتقدم يوم الحشر لتشفع لصاحبها يوم القيامة.

وله قصيدة ميمية أخرى و مطلعها:

أمن تذكّر جيران بذى سَلَمِ مزجتَ دمعا جرى من مقلة بدم(٣٤)

وقد ذكر البوصيرى سبب نظم هذه القصيدة فى مدح النبى ﷺ فقال: انه قد أصيب بفالج أقعده، فدعا الى الله و تشفع، فلما كان فى نومه رأى النبى ﷺ فمسح وجهه بيده المباركة، و ألقى عليه بردة، فانتبه فاذا هو قد شفى من مرضه، فنظمها و سماها لذلك بالبردة، وسارت قصتها فأنشدهاالناس تيمنا وتبركا، والقصيدة تنيف على ثمانين بيتا، فيها صلوات على النبى ﷺ ووقوف الأنبياء ببابه يلتمسون الرضا و يتشفعون، وكلهم يعرفون حده:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رَشَفا من الدَيمِ

وواقفون لديه عند حدهم من نقطةالعلم أومن شكلة الحِكم

ثم يصفه كرجل وبشر فيقول:

فـمبـلـغ الـعـلـم فيـه أنـه بشـر وأنـه خيـر خَـلـق الـلـه كـلهـم

أكـرم بـخَـلـقِ نبـي زانـه خُـلُق بـالـحُسـن مشتـمـل بـالبشر متسمِ

كـالـزَهـرفـى تـرف والبدر فى شرف والبـحـر فـى كـرم والـدهـر فـى همم

كـأنـه وهـو فـرد فـى جـلالتـه فـى عسكر حين تلقاه وفى حشم(٣٥)

وقـد جـمـع البـوصيـرى فـى هـذه الابيـات كـل ما قال القدماء فى الممدوحين، فـصـور جـمـال خـلـقه و كرم أخلاقه فى حسن وبشر، وشبهه بالزهر والبدر والبحر والـدهـر، وصوّرهيبته كأنه فى عسكر وفى حشم كثير، وتحدث بعد ذلك عن معجزاته فـى أيـوان كسـرى ونـار فـارس، وتسـاقـط الشهب وسجود الأشجار، وسير الغمام وصـنـع الـحـمام، مما تتناقله كتب السيرة، وتكلم عن القرآن ووصف الإسراء، وعدّد الغزوات، وختم بالرجاء والدعاء والتماس الشفاعة.

وقـصيـدة "البـردة"هـذه، امتـازت بـصـدق الـعاطفة الدينية وعذوبة الفاظها وانسـجـام تـراكيبهـا، وقـد اكتسبـت الـقـدسية لأنهـا أنشدت فـى المنـام بين يدي الرسول ﷺ، ولو لا رغبة الشاعر الشديدة و حبه المتزايد له لما شاهده فى المنام، لأن الـعـوامـل النفسية التى كانت مسيطرةعلى الشاعر جعلت شعره صادق العاطفة، فهـو مـريض أضر به المرض، ويئس من الشفاء من آلامه، وقد منّ الله عليه بالشفاء، لـذا كـانـت قصيدته مثلا صادقا لخوالجه النفسية الصادقة، وزاد القصيدة أهمية أنها ألـقيـت بيـن يـدي الـرسـول ﷺ، فبالغ الشراح فى أهميتها حتى ذكروا لكل بيت من أبياتها فائدة، فبعضها أمان من الفقر وبعضها أمان من الطاعون.(٣٦)

يقول سامى الدهان أن هذه القصيدة حفظتها الأجيال الاسلامية فى أقطارها، ورتـلتهـا فـى مـنـاسبـاتهـا الـديـنية، وتـولتهـا الـطوابع فى الشرق والغرب، وشرحها الشـارحـون مـنـذ الـقـرن الثـامـن حتـى اليـوم شـروحا عدة، وشطروها و خمسوها وسبـعـوهـا، وقـد عـارضـوهـا مـع ذلك عـلـى مدى العصور فقلدوامعانيها الجامعة و أبيـاتهـاالـرائعة، فكانت سببا لميلاد خزانة فى مديح الرسول عامرة بالكتب والشروح

والبديعيات، ومن أشهرها بديعية ابن حجة الحموى وقصائد ابن نباتة المصرى، وولدت قصص المولد، تنثر هذه المعانى الدينية وتستعمل صورها ومفرداتها وتتضمن بعض أبياتها.(٣٧)

لاشك أن المدائح النبوية فى القرن السابع كثيرة، وان كثرتها تمثل ظاهرة بارزة فى أدب هذه الفترة، ومن الاسباب التى غذت هذه الظاهرة و نمتها تعاظم حب الرسول فى نفوس أهل السنة و تمكنه منها و ذلك لتمسكهم القوى بالآثار النبوية، واقتدائهم بالرسول،والعمل بأقواله وأفعاله وتقريراته، ولتيار التصوف القريب من مذهب أهل السنة أثر فى نمو شعر المدائح النبوية، فحلقات الذكر ومجالس الصوفية التى يشيع فيها الغناء الصوفى بحاجة الى المدائح النبوية التى تترنم بمولد الرسول وتصف شمائله وفضائله، و أثر ذلك واضح فى مجموعة من القصائد نظمها أبو عبدالله محمد بن أبى بكر بن رشيد الواعظ البغدادى و سماها''القصائد الوترية فى مدح خير البرية'' و تسمى بالوتريات اختصارا، ولا شك فى أن هذه القصائد قد نظمها صاحبها لمجالس الذكرالتى تنعقد فى البيآت الصوفية، فقد دأب صاحبها على أن يستفتح كل قصيدة بالصلاة والتسليم والتحية، كقوله فى مطلع القصيدة الضادية:

صلاتى وتسليمى وأزكى تحيتى على المصطفى الهادى المشفع بالعرضِ

وقوله فى مطلع القصيدة الطائية:

صلاتى و تسليمى و أزكى تحيتى على من به نسقى اذا وقع القحط(٣٨)

والشئ الآخر الذى يدل على أن هذه القصائد نظمت لحلقات الذكر هو نظمها على أوزان تناسب الغناء والطرب، وهذه أبيات من إحدى هذه القصائد تمثل الطريقة التى انتهجهاالناظم فى نظم قصائده:

صلاتى و تسليمى و أزكى تحيتى على من به نرجوالنجاة من الهتك

ألا أيها الزوار من غير موعد

Library
TH-16064

ومن بهم الأملاك حفت بمسجد

خذوا وانقلوا عنى فانى بمنشد

كلفتُ بامداح النبى محمد ألا فاسمعوا ما عن فضائله أحكِ

له آية الفيل اذ تولى لأجله

وصد عن البيت المصان بفعله

ونادى منار فى السماء باسمه

كبير جليل مجتبى فوق رسله فهاهو بين الرسل واسطة السلك(٣٩)

وكذلك نجد فى هذه القصائد نفحات صوفية تشير اشارة صريحة الى انها نظمت للغناء فى مجالس الذكر، كما نرى فى هذه المقطوعة الشعرية و هى من احدى القصائد الوترية:

صفوفا لديه توقف الخلق فى غد فطوبى لمن يدني وويل لمن يقصى

توسل اذا ما كنت فى شدة به

ولا تخش من ريب الزمان وصعبه

اذا كنت من قوم النبى و حزبه

صحا من صحا نحن السكارى بحبه وأرواحنا من شوق أحمد فى رقص(٤٠)

ولا شك أن الصحو والسكر والشوق، والرقص الدال على الطرب، من المصطلحات والمعانى الصوفية، ومن المعانى الأخرى التى اشتملت عليها قصائد المديح النبوى المدح الكثير لأخلاق الرسول الكريم، وفضائله وصفاته، كالحلم والرحمة والعدل والسماح والتواضع، ورعاية الأيتام والأرامل، وفى هذه المعانى ما يعبر خير تعبير عن مثل وقيم انسانية رفيعة تضفى على شخصية الرسول رداء من الاجلال والمهابة فمن ذلك قول الصرصرى:

حليم على الجانى رؤوف مؤلّف رحيم على نفع الأنام حريص(٤١)

وأكثر شعراء المدائح النبوية فى القرن السابع من نسبة الكرامات والمعجزات

الى الرسول الكريم فى شعرهم كتصدع ايوان كسرى عند مولده، وانشقاق القمر، وكلام الذئب له والحية والضب والغزال والحجر،وسجود البعير شاكيا اليه، وخروج الماء من حصيات بين أصابعه وغير ذلك.

ومن المعلوم أن هذه الأقوال لم تؤكدها الأخبار التاريخية الموثقة، ولم يرد ذكرها فى شعر مادحي الرسول الأوائل، ففى هذه المسائل ذكر الدكتور زكى مبارك رأيه فى كتابه حيث قال عنها " فهى مسائل يحتاج عرضها الى مخاطرة، وهى مخشية الضر قبل أن تكون مرجوة النفع "(٤٢)

وهكذا ظهر، فى هذاالعصر، مدح الرسول الذى هو لون من ألوان التعبير عن العواطف والمشاعر الدينية فى الشعر، وقد نشأ هذاالفن فى هذاالعصر ونضج على يد أكبر شاعر فى هذاالباب وهو الصرصرى الذى كان يستمد من التاريخ الاسلامى القديم ملهماته وموضوعاته فتفيض قريحته بقصائدالمديح فيضانا لا يوجد عند أى شاعر عربى أو اسلامى آخر، وقد عكست هذه المدائح بعض المعانى والأفكار الصوفية، وعبّر هذاالشعر عن مشاعر الحب أو الرجاء أوالخوف ووصف اخلاق الرسول وفضائله وكل ما يتعلق بشخصه.

واستمرت المدائح النبوية بأيدى شعراء كثيرين لا يمكن حصرهم ههنا حتى جاء القرن الماضى، ولم يخل هذاالقرن ايضا من شعراء امتدحوا النبى ﷺ، فقد أنشأ محمود سامى البارودى قصيدة دينية سمّاها "كشف الغمة فى مدح سيد الأمة" جعل فيها سيرةالنبى من مولده الى انتقاله، وسار فيها نظما كما سار ابن هشام فى كتابه عن حياة الرسول ﷺ نثرا، وهى متينة التراكيب تذكرنا بشاعر الرسول حسان فى معانيها، وهذه القصيدة ميمية تتحدث عن الغار والعنكبوت والحمامتين فى خيال واسع، ثم تقص علينا غزواته و حروبه والأعلام الذين اشتركوا فيها، و يختمها بالرجاء والشفاعة والخشوع والخضوع فيقول:

لم يترك الدهر لى ما استعين به على التجمل إلا ساعدى وفمى

هـذا يـجـرّ مـدحـى فى الرسول وذا يتـلـوعلى الناس ماأزجيه من كلمى

فقد وضع لسانه وساعده رهنا لمديح النبىﷺ يتلو على الناس محامده ومزاياه وخصاله وشمائله، ثم يقول:

وانـمـا هـى أبيـات رجـوت بهـا نيـل الـمـنـى يـوم تحيا بذّة الرممِ

نثرت فيهـا فـريد المدح فانتظمت أحسـن بـمنتثر فيها ومنتظمِ(٤٣)

فيـرجـو كشف غـمتـه ودفـع بـليتـه فـى هذه القصيدة، ومدح البارودى رسول الـلـهﷺ بقصيدة أخرى وهى جيمية افتتحها بالنسيب، وبسط فيها الرجاء وتشفع بـالـدعاء بعد الستين من عمره، فهويرى العروج الى مديحه وسيلة من وسائل الشفاء والـصـحـة والنجاح وبلوغ الأمجاد، فهدايته وحدها رفعت البشر وسمت بهم، وجعلت أمته فريدة بين الأمم تعتز به وبرسالته وبعثه فى العرب:

هـو الـنـبـى الـذى لـو لا هـدايتـه لكان أعلم من فى الأرض كالهمج(٤٤)

وقـد نـظـم أحـمـد شـوقـى فـى مـديـح الـنـبـىﷺ قصائد عدة، ومعظمها من القصائد التى دارت على ألسنة الناس وطارت فى أفواههم و أفواه المغنين، ومن هذه الـقـصـائـد"الهـمزية النبوية" افتتحها بذكر ما كان لمولده فى تبسم الزمان واستنارة الـكـائـنـات، وبيت النبوة وخلائق الرسول وعلمه وكلامه، فامتدح بالبشر الذى يلوح عـلـى مـحـيـاه، وذكـر الـخـوارق كـمـا ذكـرهـا الشعراء من قبله فى نار كسرى وزلزلة العروش والتيجان فقال فيه:

وُلـد الهـدى فـالـكـائنات ضيـاء وفـم الـزمـان تبسـم وثـنـاء

يـامـن لـه الأخلاق ما تهوى العلا مـنهـا ومـا يتـعشـق الـكبـراء

زانتك فـى الـخـلـق العظيم شمائل يُـغـرَى بهـن ويـولع الكرماء(٤٥)

فهـو يـرسـم أخلاقه الكريمة العظيمة فى رضاه وغضبه، وفى سكوته وكلامه، وفى بيته وأسرته.

وقـد دار القسـم الأول من هذه القصيدة حول مولد محمدﷺ وما كان له من

بهجة فى الكون، لأن يوم مولده هو يوم فرحة الدنيا وعرس الوجود، أما القسم الثانى فتحدث عن مكانة النبىﷺ وعما جاء به من الحق والعدل فغير وجه التاريخ وفيه تغنى شوقى بأخلاق الرسول وفعاله، ثم انتقل فى القسم الثالث الى الحديث عن القرآن معجزة الاسلام الكبرى وما يتضمنه من تعاليم الهدى وروائع الآيات البينات والى سنن النبىﷺ وشرائع الاسلام ونظمه، وفى القسم الرابع يمتدح النبىﷺ ويذكر ما يكون له فى فؤاده من عواطف المحبة والاحترام والتعظيم، أما فى القسم الخامس، فيذكر حروب النبىﷺ وانتصاراته التى جعلت الخير يتغلب على الشر، والايمان يعلو على الكفر، وفى القسم السادس يتحدث عن النهضة الكبرى التى تحققت للمسلمين حين أخذوا بأهداب هذاالدين فصاروا سادة الدنيا مدة طويلة من الزمن، ثم يختم القصيدة مخاطبا محمداﷺ طالبا شفاعته ضارعا اليه أن يلم شعث الأمة الاسلامية مناديا بوحدة المسلمين وعودتهم الى ينابيع شريعتهم التى بلغت من العدل والكمال ما لم تبلغه أفضل شرائع التاريخ، وما يدعو المسلمين الى التمسك بها والالتفاف حولها والأخذ بأحكامها وتطبيق مبادئها فى كل وجه من وجوه الحياة.(٤٦)

والقصيدة أنشودة شعرية عذبة تؤرخ للاسلام وظهوره وانتشاره وفضائله، وفيها دعوة الى إحياء التراث الاسلامى الغنى بالفضائل السياسية والاجتماعية والخلقية واشارات الى ما فى الاسلام من أسس العدل والحق والرحمة والخير واليسر والديموقراطية القائمة على الحرية والشورى، ومن روح الاشتراكية وسوى ذلك مما تباهى به الأنظمة الحديثة فى العالم.

وتطرّق شوقى فى هذه القصيدة الى فلسفة القدماء والمحدثين وآرائهم فى الاجتماع والسياسة والفصاحة والبلاغة وفضّل النبىﷺ عليها جميعا وتفرده بينها بالسمو والكمال:

بك يا ابن عبدالله قامت سَمحةً بالحق من ملل الهدى غرّاءُ

بُنيت على التوحيد و هى حقيقة نادَى بها سقراط والقدماء
لما دعوتَ الناس لبَّى عاقل وأصَمَّ منك الجاهلين نداء
ورسمتَ بعدك للعباد حكومةً لا سُوقةفيها ولا أمراء
الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت امامُهم لو لا دعاوَى القومِ والغلواء
داويتَ متئدا و داووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء
أنصفتَ اهل الفقر من أهل الغنى فالكل فى حق الحياة سواء
فلو أن انسانا تَخيَّر ملةً مااختار الا دينك الفقراء(٤٧)

فشوقى هو الشاعر الوحيد بين المادحين الذى أدخل روح زماننا ومذاهبه وآراء ه فى تصوير النبىﷺ، فكانت قصيدته درسا فى الموازنة بين المذاهب والشرائع والقصائد والآراء، كأنه يتحدث بلسان العصر على أربعة عشر قرنا لم تضف كلها شيئا جديدا الى ما أورد هذاالنبى الأمى، ولم تزد عليه فيما حمل من معجزة و من فلسفة.

وفى نهاية القصيدة نجد الشاعر يعتز بالاسلام ورسوله، ويشير الى ما فى هذاالدين من عظمة وقدرة على إصلاح الشعوب والأنظمة، وينظم بتفكك المسلمين وابتعادهم عن تعاليم دينهم، داعيا ايّاهم الى الالتفاف حول الشريعة الاسلامية وتحطيم القيود التى تكبلهم وتعوق تقدمهم وازدهارهم:

لى فى مديحك يا رسولُ عرائس تُيِّمن فيك و شاقهن جلاء
أنت الذى نظم البرية دينُه ما ذا يقول و ينظم الشعراء
ما جئت بابك مادحا بل داعيا و من المديح تضرع و دعاء
أدعوك عن قومى الضعافِ لأزمة فى مثلها يُلقَى عليك رجاء
متفكِّكون فما تضُمُّ نفوسَهم ثقة،ولا جمع القلوب صفاء

رقَـدوا وغـرَّهـمُ نـعيـمٌ بـاطـلٌ و نـعيـم قـوم فـى الـقيـود بـلاء

ظـلـمـوا شـريـعتك التـى نلنـا بهـا مـالـم يـنـل فـى رومة الـفـقهـاء

مشتِ الحضارة فى سَناها واهتدى فـى الـدين والدنيا بها السعداء(٤٨)

ونظم شوقى قصيدة أخرى وهى البائية فى ذكرى المولد النبوى ومطلعها:

سـلـوا قـلبـى غـداةَ سَلَا وتَـابـا لـعـل عـلـى الـجمال له عِتابا(٤٩)

تـقـع هـذه الـقـصيـدةفى واحدةوسبعين بيتا من الشعر، بدأها الشاعر ببضعة عشـر بيتـا مـن الشـعر الوجدانى الخالص الذى يتوجه فيه صاحبه من ذاته الى ذاته، وهـى تـكشف عـمـا فـى ضـمـيـره مـن حب للجمال وولع به، ثم ينتقل الى خواطر من الحكمة التى تلفها غلالة من الوجدان، فيعرض تأملات فى الحياة وخواطر فى الناس وأخـلاقهم ويدعو الى البر والتقوى والعمل الصالح والأخذ بحكم الله والوقوف على بـابـه، ويـدعـو الـى الـعـلـم والـوقـوف عـلـى عـجائبه ومستحدثاتـه، ثم يتحدث عن مـحـمـدﷺ و رسـالتـه وهَـديِه، وما فى الاسلام من مقوّمات الخلاص من الشرور وبـلـوغ الـمـجد والعظمة، ويتغنى بمولد محمدﷺ وما رافقه من خير للناس وهدى ورحـمة وقـضـاء على التخلف والجهل، فيمتدح الدين والنبى وينظر اليه نظرة قومية، ويشير الى بلاغته وجهاده، فيقول:

نبـي البـر بيَّـنـه سبيـلا وسـنّ خـلالـه وهـدى الشـعـابـا

وعـلَّـمَـنـا بـنـاء الـمـجـد حتى أخـذنـا إمـرة الأرض اغتصـابـا

ومـا نيل الـمـطـالـب بـالتمنى ولـكـن تـوخـذ الـدنيـا غـلابـا

أبـا الـزهـراء قد جـاوزتُ قدرى بـمـدحك، بَيـد أن لـيَ انتسـابـا

سـألـتُ الـلـه فـى أبـنـاء دينـى فـان تـكـن الـوسيلة لـى أجـابـا

ومـا لـلـمسـلـمين سواك حصن اذا مـا الـضـرُّ مَسَّهـمـو ونـابـا

كـأن الـنـحـس حين جرى عليهم أطـار بـكـل مـمـلـكة غـرابـا

ولـو حـفـظـوا سبيلك كـان نـورا وكـان من النحوس لهم حجابا(٥٠)

فشوقى يرى فى النبى ﷺ اماما فى الفصاحة ومثالا للخلق الرفيع وقائدا عظيما وزعيما كريما، قاد المسلمين الى مرابع الظفر والنصر وامتلاك المجد والخلود والأخلاق.

ولشوقى قصيدة ميمية رائعة اخرى تحتوى على مائة وتسعين بيتا، ويقول الدكتور ماهر حسن فهمى بصدد هذه القصيدة أن شوقى يعارض بهذه القصيدة بردة البوصيرى، ويمدح الرسول ويذكر كيف تمكن من النهوض بأمة جاهلة تضرب الفوضى أطنابهافيها، فاستطاع أن يحيى" أجيالامن الرمم" ويشير الى جهاده فى سبيل سؤدد الاسلام، ثم يدعو الله ان يقبل المسلمين من عثرتهم ويشفع بالرسول عند الله فى ذلك(٥١) ومن هذه القصيدة:

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة حديثك الشهد عند الذائق الفهم
بكل قول كريم انت قائله تُحيي القلوبَ وتحيي ميت الهِمم
أتيتَ والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنم قد هام فى صنم
والأرض مملوءة جوراً مسخرةٌ لكل طاغية فى الخلق محتكم
أسرى بك الله ليلا اذ ملائكه والرسل فى المسجد الأقصى على قَدم(٥٢)

ويتلفت شوقى فى قصيدة أخرى تحتوى على ثلاثة وستين بيتا ويرى العالم الاسلامى مضطربا قلقا فيقول:

فقل لرسول الله يا خير مرسل أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف فى عميق سُبات(٥٣)

فشوقى شاعر الدين فى العصرالحديث ينظر الى المسلمين نظرة المسلم القلق وقد هاله اضطرابهم وحيرتهم، فرأى أنهم يحتاجون الى زعيم ويفتقرون الى كتاب، وأنهم سيضطرون الى اتباع مذهب سياسى، فأشار على قومه والأمة الاسلامية أن تعود الى زعيمها القديم، وتؤمن بدينه ففى ذلك الفلاح والنجاح، وليس لداء الفوضى الذى انتشر فيهم وغلب عليهم الا هذاالدواء الذى التمسه فى خلق

النبيﷺ وفى تعاليمه السامية المجيدة.

والشعراء فى الأقطار العربية مايزالون يرسلون المدائح فى النبيﷺ، و يصورون بطولته وكرمه وجمال خلقه وعظمة اخلاقه، وسمو رسالته، وهم كذلك يحثون قومهم على اتباع نهجه واقتفاء أثره، ويتألمون لما هم عليه من فوضى واضطراب وتفكك، يرون أنها شبيهة بحال العرب قبل الاسلام فلا يجدون لها خلاصا الا على يد زعيم يحمل رسالة الانسانية والعدالة، ويحطم العبودية ويقوم للشرك والظلم فى كل مكان، فيعيد للعرب مجدهم وعزهم، ويذل أعدائهم، ويخلصهم مما هم فيه، فترجع اليهم انتفاضتهم القديمة، وتذكرهم الأمم من جديد بالقوة والبأس والخلود، وتخشى بأسهم وتجعلهم فى مصاف الشعوب الحرة المحترمة.

ذلك ما يردّده شعراء العرب اليوم، يمدحون النبيﷺ لكل ذكرى ويستعيدون تاريخه وسيرته لكل مناسبة، ولهذا نجد فى كل ديوان شعرا فى النبيﷺ، يشيد باسمه كما أشاد القدماء منذ حسان فى الشام والعراق ومصر، فقد أنشد أنور العطار، وعمر أبو ريشة، وأحمد مظهر العظمة، وعدنان مردم قصائد كثيرة نشرتها الصحف و حملتها الدواوين الى القراء، فيها مديح الأمجاد ووصف المحامد والدعاء والرجاء بكشف الكرب والصعوبات، ورسم المعارك والغزوات، وتصوير النبيﷺ وجهاده فى جزيرة العرب لمحو الشرك ونشر التوحيد.

وفى مصر أنشد كثير من الشعراء فى مدح النبيﷺ، وقد نظم الشاعر المصرى محمد عبدالغنى حسن ديوانا كاملا فى مديحه سمّاه "من وحى النبوة" (٥٤)لا يعرف له مثيل فى الادب العربى، فقد جعله تمجيدا للرسول فى صفحات شعرية تبين عن صفاته وسيرته وأجمل ما فى حياته ومعجزاته.

والحق أن الشعراء الذين قاموا بامتداح النبيﷺ، من عصر الرسول الى

عصرنا الحاضر، كثيرون لا سبيل لإ حصائهم فى هذاالباب الوجيز، فاكتفى بالاشارة الى كثرتهم والى وفرة قصائدهم فى هذاالموضوع، والمعلوم أن هذااللون من الأدب لم ينقطع فى الشعر العربى منذ حسان، وأن الشعراء اتجهوا الى الدين والى النبى ﷺ كلما ضاقت بهم الدنيا وأحاطت بهم الأحداث ونالتهم المصائب والكوارث، فعادوا الى الماضى يفخرون ويعتزون ويستحثون الهمم للاقتباس منه، والسير على هديه، والعمل على سنته والاعتصام بحبل الله ورسوله، لعل الأمجاد تعود الى أمتنا من جديد، وتلفنا الرفعة من كل جانب، وتحيط بنا المفاخر فى المستقبل.

هذا هو الباب الأول الخاص بتطور المديح النبوى فى الأدب العربى، والآن انتقل الى الباب الثانى و فصوله الذى يلي هذاالباب، وهو الباب الخاص ببعض شعراء المديح النبوى من المتقدمين فى الهند و بمنتقى الشعراء الهنود فى القرن العشرين الذين نظموا قصائد عدة فى المديح النبوى، و سأحاول فيه أن ألقى ضوء ا على هولاء الشعراء و مساهماتهم فى مدح النبى الكريم ﷺ.

الهوامش

(١) ديوان ابى الطيب المتنبى: بشرح ابى البقاء العكبرى، ص٢٧٧و ٢٨٠

(٢) المديح: سامى الدهان، ص٧٢

(٣) يراجع للاستزادة: المدائح النبوية فى الادب العربى، زكى مبارك، ص١٧

(٤) ديوان الاعشى: ص ٤٥،٤٦

(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة: الجزء الاول، ص٢٨٩. و. تاريخ الادب العربى، العصر الاسلامى: شوقى ضيف، ص١٠١

(٦) تاريخ الادب العربى العصر الاسلامى: شوقى ضيف، ص٨٥

(٧) المصدرالسابق: ص٨٥

(٨) المصدرالسابق: ص٨٦ .و. المديح: سامى الدهان، ص٧٣،٧٤

(٩) المدائح النبوية فى الادب العربى: زكى مبارك، ص٢٢

(١٠) شرح ديوان حسان بن ثابت الانصارى: عبدالرحمن البرتوتى، ص٥٧

(١١) المصدرالسابق: ص٦٢ و٦٥

(١٢) دراسات فى الادب الاسلامى: الدكتور سامي مكي العاني، ص٢٨٦

(١٣) المصدرالسابق: ص٢٨٦. و. شرح ديوان حسان بن ثابت الانصارى: عبدالرحمن البرتوتى، ص٦٦

(١٤) شرح ديوان حسان بن ثابت الانصارى: عبدالرحمن البرتوتى، ص١٣٤

(١٥) دراسات فى الادب الاسلامى: الدكتور سامي مكي العاني، ص٢٨٦،٢٨٧

(١٦) المصدرالسابق: ص ٢٨٧. و. شرح ديوان حسان بن ثابت الانصارى: عبدالرحمن البرتوتى، ص١٣٤،١٣٥

(١٧) شرح ديوان حسان بن ثابت الانصارى: عبدالرحمن البرتوتى، ص١٣٧

(١٨) المصدرالسابق: ص١٣٧

(١٩) المصدرالسابق: ص١٤٤

(٢٠) المصدرالسابق: ص٣٧٥، ٣٧٦

(٢١) وفى ديوان حسان بن ثابت الانصارى "خليلا" مكان "مؤاتيا"

(٢٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الانصارى: عبدالرحمن البرتوتى، ص٤٨٦

(٢٣) دراسات فى الادب الاسلامى: الدكتور سامي مكي العاني، ص٧٦

(٢٤) ديوان كعب بن مالك الانصارى، دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني، ص٩٣،٩٤

(٢٥) المصدرالسابق: ص٩٤

(٢٦) المديح: سامى الدهان، ص٧٦، ٧٧

(٢٧) الشعر العربى فى العراق، من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد: عبدالكريم توفيق العبود، ص٢٧١، ٢٧٢

(٢٨) المصدرالسابق: ص٢٧٢

(٢٩) المصدرالسابق: ص٢٧٣

(٣٠) المصدرالسابق: ص٢٧٣

(٣١) المصدرالسابق: ص٢٧٣

(٣٢) المديح: سامى الدهان، ص٧٧

(٣٣) المصدرالسابق: ص٧٧

(٣٤) الشعر العراقى، اهدافه وخصائصه فى القرن التاسع عشر: الدكتور يوسف عزالدين، ص٨١

(٣٥) المديح: سامى الدهان، ص٧٨

(٣٦) المدائح النبوية فى الادب انعربى: زكى مبارك، ص١٤٨

(٣٧) المديح: سامى الدهان، ص٧٨، ٧٩

(٣٨) الشعر العربى فى العراق، من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد: عبدالكريم توفيق العبود، ص٢٧٦

(٣٩) المصدرالسابق: ص٢٧٧

(٤٠) المصدرالسابق: ص٢٧٨

(٤١) المصدرالسابق: ص٢٨٦

(٤٢) المدائح النبوية فى الادب العربى: زكى مبارك، ص١٥٧

(٤٣) المديح: سامى الدهان، ص٨٠

(٤٤) ديوان البارودى: المجلد الاول، الجزء الاول، ص١٠٣

(٤٥) الشوقيات: احمد شوقى: المجلد الاول، الجزء الاول، ص٢١ و٢٣

(٤٦) يراجع للتفصيل: الالتزام فى الشعر العربى: الدكتور احمد ابوحاقة

(٤٧) الشوقيات: احمد شوقى: المجلد الاول، الجزء الاول، ص٢٥، ٢٦

(٤٨) المصدرالسابق: ص٢٩

(٤٩) المصدرالسابق: ص٥٩

(٥٠) المصدرالسابق: ص٦٢، ٦٣

(٥١) شوقى، شعره الاسلامى: الدكتور ماهر حسن فهمى، ص١٧٤، ١٧٥

(٥٢) الشوقيات: احمد شوقى: المجلد الاول، الجزء الاول، ص٢٤٧

(٥٣) المصدرالسابق: ص١٠٠

(٥٤) المديح: سامى الدهان، ص٨٣

الباب الثانى

شعراء المديح النبوى الكبارفى الهند

الفصل الأول: بعض شعراء المديح النبوى من المتقدمين

الفصل الثانى: الشيخ فضل حق الخيرآبادى

الفصل الثالث: الشيخ حبيب الرحمن العثمانى

الفصل الرابع: العلامة انور شاه الكشميرى

بعض شعراء المديح النبوى من المتقدمين فى الهند

قبل بداية البحث فى الفصول الثانية والثالثة كذلك الرابعة التى تتعلق بمنتقى الشعراء الهنود فى المديح النبوى فى القرن العشرين وقبل بداية استعراض آثارهم الشعرية فى الموضوع، يسرنى أن ألقى ضوء ا على بعض شعراء المديح النبوى من المتقدمين فى الهند وعلى ما كان لهم من مساهمات فى هذاالموضوع المفضل لديهم فى هذاالفصل الأول من الباب الثانى.

ومن المعلوم أن فن المديح النبوى برز كفن من الفنون فى عصر الرسول ﷺ وازدهر هذاالفن على مرالدهور والأيام وتسابق فيه الشعراء والأدباء من العرب والعجم وكل من أدلى دلوه وأخذ نصيبه حسب المؤهلات اللغوية والأدبية وسلك مسالك متنوعة فى التعبير عما كان يجيش فى خاطره من عواطف الإجلال والاكبار تجاه الرسول الكريم ﷺ.

تدل الآثار الأدبية لعلماء الهند وأدبائها وشعرائها المتمثلة فى النظم على قدرتهم على قرض الشعر وذوقهم الأدبى النزيه وقدرتهم على أساليب اللغة العربية، والجدير بالذكر أن معظم الأدباء والشعراء الهنود كانوا من العلماء المتدينين وقد أتقنوا لغتهم العربية فى المدارس الدينية الاسلامية، فلم يكن قرض الشعر باللغة العربية شغلهم الشاغل وموضوع اهتمام كبير لديهم لأنهم كانوا يعرفون جيدا بأن الاسلام بوجه عام لا يشجع اتباعه على نظم الأبيات، فلذلك معظم العلماء والادباء لم يهتموا بقرض الابيات ولم يعتنوا به كعنايتهم بالعلوم الدينية، و لو نال هذا الفن اهتمامهم كالفنون الأخرى لكانت لمدائحهم المكانة المرموقة فى الادب العربى كشعراء العرب الفحول، وبسبب كون الاسلام غير مشجع على قرض الابيات كان بعض العلماء والأئمة المتقدمين يرون أن الشعر لا يليق بمكانة العلماء، وقد أشار الى

هذا الجانب الامام الفقيه الشافعى عليه الرحمة فى بيته التالى:

ولو لا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشهر من لبيد(١)

وبالرغم من هذا كله نشاهد أن عددا ملحوظا من العلماء المسلمين الهنود اختاروا الشعر كأداة لإظهار ما كانت تتموج فى قلوبهم ونفوسهم من العواطف والأفكار وخلفوا منظومات رائعة باللغة العربية، وتحتوى هذه الانتاجات الشعرية بوجه عام على موضوعات الحمد والمديح والوعظ والحكمة والتهنئة والترحيب والرثاء والحماسة على منوال الشعراء المتقدمين وأساليبهم، وذلك لأن نماذج الشعراء الأقدمين الموجودة فى صورة المعلقات وحماسة أبى تمام والبحترى وديوان المتنبى وغيره كانت امام أعينهم عند دراسة اللغة العربية وآدابها فى المدارس الدينية الاسلامية، فكان من الطبيعى أن يسلكوا مسالك الشعراء القدامى عند قرض الابيات فى اللغة العربية، وكانت نتيجة ذلك انه ليس لهم أى نصيب يذكر فى إثراء اللغة العربية وآدابها، وتخصيبها عن طريق إدخال الأفكار الهندية المحلية، وتصوير المناظر الطبيعية المتوافرة فى الهند، وذكر المراسيم والطقوس الهندية فى ابياتهم وقصائدهم العربية، وبسبب فقدان العناصر الهندية فى قصائدهم لم ينل الشعر العربى الهندى قبولا واسعا فى البلدان العربية، لأن العرب وجدوه مجرد نقل وتكرار الأفكار والموضوعات العربية القديمة.

وأيا كان الأمر فان شبه القارة الهندية قد أنجبت أدباء كبارا وشعراء عظاما نشأوا وترعرعوا فى أريافها وأمصارها، وكان منهم شعراء اهتموا اهتماما كبيرا بالإنشاد فى المديح النبوى، ودراسة تاريخ المديح النبوى تدل على أن المديح النبوى كان موضوعا مفضلا ومحببا لدى الادباء والشعراء إزاء أغراض الشعر الاخرى التى تناولوها فى شعرهم، والسبب فى ذلك يرجع الى أن اكثر هولاء الشعراء والادباء الذين أنشدوا قصائد فى مدح النبى الكريم ﷺ كانوا من علماء ورجال الدين الاسلامى، وفى السطور التالية أذكر بعض كبار الشعراء والادباء من

المتقدمين فى الهند الذين سكبوا عواطفهم الجياشة وحبهم العميق للرسول الكريم ﷺ فى قالب القصائد فى مدح النبى الكريم ﷺ.

القاضى عبدالمقتدر الكندى الدهلوى

(٧٠٣هـ - ٧٩١هـ)

ولد القاضى عبدالمقتدربن القاضى ركن الدين الدهلوى فى تهانيسر سنة ٧٠٣هـ وقضى أيام طفولته فيها، ثم جيئ به الى عاصمة الهند دهلى حيث نشأ وترعرع وتعلم وتثقف وأصبح احد أشهر علماء الهند فى العلوم العربية والاسلامية، واستفاد كثيرا من استاذين شهيرين وهما الشيخ شمس الدين محمد بن يحيى الأودى الذى قرأ عليه الكتب الدرسية والشيخ نصيرالدين محمود چراغ الدهلوى الذى قرأ عليه الكشاف والكتب الاخرى، ولازم استاذه ومرشده الشيخ نصيرالدين محمود ملازمة طويلة، وكان يباحثه فى الأمور العلمية والشيخ يحبه ويستحسن أبحاثه ويشجعه لتحصيل الأكثر فالأكثر من العلم والحكمة.

كان القاضى، بالاضافة الى كونه عالما مقتدرا على العلوم الكثيرة، أحد أشهر الشعراء المفلقين بالعربية الذين نبغوا فى الهند، انه قد قرض أشعارا كثيرة بهذه اللغة، ولكن شهرته بصفته شاعرا عربيا بسبب قصيدته الشهيرة ،لامية الهند، التى مدح فيها النبى الكريم ﷺ، وبهذه القصيدة عارض لامية العجم التى نظمها ابو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائى(١٠٦٣- ١١٢٠م) الذى هو فارسى الاصل وأصبهانى، ولا مماثلة بين هاتين القصيدتين سوى انهما متساويتان فى سلاسة الالفاظ وعذوبة الكلام، أما لامية العجم فقد شكى فيها الشاعر سوء حظه والدوائر التى دارت به فى ايام شيخوخته، وأما لامية الهند للقاضى عبدالمقتدر الكندى، فهى قصيدة مدح فيها النبى الكريم ﷺ.(٢)

ومن الأسف أن النص الكامل لهذه القصيدة، على الرغم من جودتها الشعرية العالية، لا يوجد فى كتب الأدب والتاريخ امثال سبحة المرجان و نزهة الخواطر وغيرهما، والمصدر الوحيد الذى نشر فيه النص الكامل المشتمل على احدى

وتسعين بيتا هو مجلة ثقافة الهند(سبتمبر ١٩٥٠م) وقد ضبطه ونشره المحقق الكبير مولانا امتياز على عرشى نقلا من بعض المجاميع الأدبية مع تشريح بعض الكلمات الغامضة لسهولة المطالعة.(٣)

ومن الثابت الذى لا مراء فيه أن هذه القصيدة دليل باهر على اقتدار القاضى عبدالمقتدر على اللغة العربية وتذوقه الادبى الرفيع واستخدام الكلمات والتراكيب الملائمة للمعانى والاحاسيس التى أراد الإفصاح عنها، فجاء ت القصيدة صورة حية للحب والغرام لخاتم النبيين ﷺ ، والشاعر فى المديح والنسيب صادق التعبير دقيق فى التصوير، والشعر عامر بالابيات متين القافية والوزن مختار اللفظ يغلب فيه الفصاحة والبلاغة والموسيقى تجذب اليها القلوب وتستمع اليها الآذان مع السذاجة الفطرية الحلوة، وتفوق القصيدة فى سلاسة الألفاظ وعذوبة الكلام ومتانة الاسلوب، ومن أساس الجودة الفنية أن تؤدى المعانى فى رفق ويسر وقلة فضول، وقد تأسست القصيدة على هذا الاساس الفنى، وأبيات القصيدة تصور حياة الشاعر ونفسيته وبيئته وعصره، فالشاعر هو صاحب موهبة فنية فى نفسه وعقله يمثل البيئة فى فرحها وحزنها وجدها ولهوها أتم تمثيل.

وأول شئ يلاحظه الناظر فى هذه القصيدة هو أن القاضى عبدالمقتدر، كمعظم شعراء العرب، أيضا يبدأ بالنسيب ويذكر أطلال ديار حبيبته التى غادرت مع اهلها الى مكان آخر لكى يلفت انتباه سامعيه بصفة جِدية، وهذا الجزء من القصيدة رائع جدا لما فيه من المجاز والتخيل و حسن التعبير والتشبيهات النادرة، يقول الشاعر فى مستهل هذه القصيدة:

يا سائق الظعن فى الأسحار والاصل ... سلم على دار سلمى وابك ثم سل

عن الظباء التى من دأبها ابدا ... صيدالأسود بحسن الدل والنجل

وعن ملوك كرام قد مضوا قددا ... حتى يجيبك عنهم شاهد الطلل

دار اذا رحلت عنها سُليم غدت ... مها المهامِه فيها لامَها الكلل

أضحت اذا بعدت عنها كواعبها ... اطلالها مثل اجفان بلا مقل

ان الظبـــأ التـــى أصبـحـن رافلة فيهـا لهـا حَـوَر صِينـت عـن الحول

ان كـن مستـغـنيـات فـى تـزيـنهـا عـن الـحـلـىّ وكـحـل الـعيـن والحلل

وقـد يتـضح من الشعر الاول ان القاضى كغيره من شعراء الهند بالعربية مولع جـدا بتزينات لغوية، يقول الدكتور زبيد احمد فى كتابه "The Contribution of India to the Arabic Literature" أن الشعر الأول يتضمن محسنات الكلام التالية:

١- تجنيس زائد فى سلمى وسل

٢- مراعاة النظير طوال الشعر

٣- صنعة الاشتقاق فى سلّم وسلمى

٤- صنعة التضاد فى الأسحار والأصل(٤)

ثـم يـصف الشـاعـر جـمال المرأة الأعرابية و يذكر الصعوبة التى يواجهها فى الـوصـول الـى حبيبتـه ويـصور المحادثة والمحاورة بينه و بين حبيبته الأعرابية بعد الوصول اليها تصويرا بارعا دقيقا فى غاية من البساطة والسذاجة، فيقول:

فـــدى فـــؤادى أعـرابية سـكـنـت بيتـا من الـقـلـب مـعـمورا بلا حول

مـن نـور وجـنتهـا مـن حسن غـرتهـا مـن طيـب طـرّتهـا مـن طـرفهـا الثمل

الشـمـس فـى أسف والبدر فى كلف والـمسك فـى شغف والريم فى خجل

بـخيـلة بـوصـال الـمستهـام بهـا والجود فى الخود مثل البخل فى الرجل

كـــأنهـــا ظبية لـكـن بيـنهـمـا فـرقـا جـليـا بـعظم الساق والكَفَل

كيف السبيل اليهـا بـعـد أن حـفظـت بـالبيـض والسـمر فى أعلى ذرى الجبل

طـرقتهـا فـجـأة والـليـل فـى جـدل والـذئـب فـى كسـل والـقوم فى شغل

قـالـت لك الـويـل هـلا خـفت من أسد لـــه بـــراثـن كـــالـعـســالة الـذبـل

فـقـلـت انـى مـليك صيـد أسـد وصيـد غيـرى مـن ظبـي ومـن وَعِـل

قـالـت فـمـا تبتـغـى لا منع قلت لها كَلّا فـانـى عـفيف الـقـول والـعـمل

وبـعـد مـا ينتهى الشاعر من النسيب يتكلم عن تقوى نفسه وكرامته وشجاعته واستقامته المعنوية وعن حسنات المعشر الذى ينتسب اليه:

وانـنـى رجـل مـن مـعشـر سـحبـوا ذيـل التبتـل والـتـقـوى عـلـى زحـل

لا يطمعون ولكن كان ديدنهم اعطاء ما ملكوا كالعارض الهطل

وفى الاشعار، بعد ذكر حسنات معشره، يصف الشاعر سرعة زوال الحياة والملذات الدنيوية فينصح لقارئيه أن يعيشوا فى عالم الحقيقة، ولا فى عالم الظن والتوهم، وايضا يشير على الناس بالقناعة بالكفاف من العيش لأن غنى القلب هو الغنى الحقيقى:

يا طالب الجاه فى الدنيا تكون غدا على شفا حفرة النيران والشعل
يا طالب العز فى العقبى بلا عمل هل تنفعك فيها كثرة الأمل
يا ايها الطفل انت الطفل فى أمل وشمس عمرك قدمالت الى الطفل

وبعد ذلك يعطف الشاعر عنان الكلام الى مدح النبى الكريم ﷺ ويصف فيه مناقبه الصورية والمعنوية والروحانية، وايضا يُلمع فيه الشاعر الى معظم انجازات ممدوحه كتلقى القرآن الكريم والتبليغ به بأحسن صورة، واقامة خير امة على الارض وما الى ذلك، وتتراءى فى هذه الاشعار سلاسة الالفاظ وعذوبة الكلام بصفة جلية، فيقول:

ولم يكن فخره الا بعزة من اغنى الأعاجم والاعراب فى الدول
محمد خير خلق الله قاطبة هو الذى جلّ عن مثل وعن مثل
له المزايا بلا نقص ولا شَبه له العطايا بلا مَنّ ولا بدل
له المكارم أبهى من نجوم دجى له العزائم أمضى من قنا البطل
له الفضائل اجدى من عصا كسرت له الشمائل احلى من جنا العسل
له الجمال اذا ما الشمس قد نظرت اليه، قالت، ألا يا ليت ذلك لى

وفى نهاية القصيدة يرجو الشاعر شفاعة ممدوحه محمد ﷺ له يوم تقوم الساعة، فيقول:

يا سيد المرسلين المكرمين أدم شفاعة لعبيد ضارع وجل
أردت مدح نبى الله مجتهدا حتى عجزت فقال العقل لى، فقل
يا عبد مقتدر أوصاف سيدنا تعلو علوا عن التفصيل والجمل

ومن حسن الحظ ان هذه القصيدة لا يوجد فيها هنات مدحية تخل بالعقيدة

الاسلامية، وهذا يدل على سلامة الفطرة الشعرية للشاعر واعتصامه بالكتاب والسنة، وهذا من منن الله الكبيرة الموجبة للشكر، فان الاقدام تزل ولا تكاد تثبت فى ميدان المديح.

الشيخ احمد بن محمد التهانيسرى

(٧٣٢هـ - ٨٢٠هـ)

كان العلامة احمد بن محمد التهانيسرى من الادباء المشهورين فى عصره، ولد فى دهلى ونشأ بها وحصل على التعليم الابتدائى على العالم الكبير العلامة القاضى عبدالمقتدر الكندى الدهلوى ولازمه مدة من الزمن حتى صار نسخة ثانية لأستاذه فى التضلع من العلوم العربية والدينية وفاق أقرانه فى العلوم والفنون وعد من ادباء الهند المفلقين وفضلائها البارعين، وكان رجلا صالحا ذا ذهن ثاقب و فكر صائب، مقتنعا بالكفاف زاهدا فى الدنيا وزخارفها.

وكان تلميذا للشيخ نصيرالدين الأودى الدهلوى، وقد صحبه فترة من الزمن واستفاد من صحبته ما قدر الله له ان يستفيد من ذلك العالم الكبير.

ولما فتح الامير تيمور دهلى (سنة ٨٠١هـ) وسمع نبذا من فضائله، رغب فى الملاقاة، وتعطش الى المؤافاة وبعد ما عاينه متحليا بفضائل ابهى من النجوم الزاهرة ومتصفا بشمائل اعطر من الازهار الناضرة، اختاره للمجالسة واصطفاه للموانسة، وخرج من دهلى فى فتنة الأمير تيمور مهاجرا الى كالبى وسكن بهذا المصر الجامع واشتغل بتدريس العلوم واستغرق حياته فى عبادة رب السماوات والارض حتى توفى فى سنة ٨٢٠هـ ودفن فى داخل قلعة كالبى.(٥)

للشيخ احمد بن محمد التهانيسرى قصيدة دالية معروفة فى مدح النبى الكريم ﷺ تحتوى على احدى و اربعين بيتا، وتدل هذه القصيدة على أن الشيخ احمد التهانيسرى كان من الشعراء المفلقين النابغين والمتضلعين من اللغة العربية، وتدل على قدرته على اللغة العربية والفاظها وتراكيبها واستعمالها فى القصيدة حسب اقتضاء الحال.

بدأ الشاعر قصيدته بالغزل والتشبيب وذكر الديار كعادة شعراء العرب

الأقدمين، فيقول:

أطـار لبـى حـنيـن الـطـائر الغرد وهـاج لـوعة قـلبـى التـائـه الكمد

وأذكـرتـنى عهودا بالحمى سلفت حـمـامة صـدحـت من لاعج الكبد

بـاتـت تـؤرقنى والقوم قد هجعوا مـن بيـن مـضطجع منهم ومستند

مـا زار طـرفـى غـمض بَعد بُعدكم ولا خيـال سـرور دار فـى خلدى

ليـت الهـوى لم يكن بينى وبينكم وليـت حبـل ودادى غيـر مـنعقد

كـانـت لـنـا لـب أيـام وغـرتهـا ولـت سـراعـا على رغمى ولم تعد

ثـم يعطف الشاعر عنان القلم عن النسيب ويشرع فى تمهيد المخلص، فيقول:

بـقيـت فـردا وراح الـنـاس كلهم كـالسيف يبـقـى بـلا اغماده الفرد

لا عيـش بـعـد لئيلات اللوى رغدا ولا وصول الى ذات الحمى بيدى

خـل الاحاديث عن ليلى و جارتها وارحل الى السيد المختارمن أدد

وليـس فى الدين والدنيا وآخرتى سـوى جـنـاب رسول الله معتمد

ثـم يـذكـر الشاعر تلك السجايا الكريمة والشيم النبيلة والشمائل الخلقية التى اتصف بها رسول الله ﷺ، فيقول:

بـــرّ رؤف رحيـــم سيـد ســنـد سهـل الـفـنـاء رحيـب الباع والصفد

رب الـنـدى والجدى والصالحات معا طـفـلا و كهـلا وفـى شـب وفـى مـرد

ثـم يـذكـر الشـاعـر فـى ابيـات القصيدة ان رسول الله ﷺ معتصم بالشرع ومـنتـقـم لـلدين، فى الله مجتهد وبالفقر مفتخر وبالزهد مشتهر، والعدل والفضل من شيمته الذكية الطاهرة، ثم فدى الشاعر نفسه و أهله وذويه وماله رسول الله ﷺ، ثـم يرجو شفاعته من الله يوم القيامة ثم يدعو الله ان يصلى ويسلم على رسول الله ﷺ وآله وصحبه ومن أحبهم الى يوم القيامة، فيقول:

عـطـفـا عـلـي ورفـقا بى ومرحمة فـلـيس غيـرك يا مولاى ملتحدى

يـا رب صـل وسـلـم دائـمـا ابدا عـلـى الـنبـى نبـى الـحق والرشد

وصحبه وذويه الطاهرين، ومن أحبهم شغفا فى الغيب والعند

ما لاح برق وما سحّ الغمام على رُبى الفلا فكساها حلة القشد

وما تغرد غريد على فتن غض الأرومة محضلّ وملتبد

هكذا تنتهى القصيدة المليئة بالغرام والحب العميق للرسول ﷺ، والقصيدة كلها شاهدة على حسن اختيار الكلمات والتراكيب للشاعر، التى يناسب شخصية الرسول الأمين ﷺ، فلا إفراط فيها ولا تفريط.

والقصيدة تبعد عن تلك الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية التى تطغى على جمال المعنى وحسن التعبير والعواطف النبيلة والأحاسيس الصادقة والجمال الطبيعى والسذاجة العربية، والقصيدة جديرة بأن تعد من أروع القصائد و أبدعها فى مدح الرسول ﷺ التى قيلت بأرض الهند.

الشاه ولى الله الدهلوى

(١١١٤هـ - ١١٧٦هـ)

هو شيخ الاسلام قطب الدين احمد بن عبدالرحيم بن وجه الدين الدهلوى، العالم النابغة العبقرى الفذ فى تاريخ شبه القارة الاسلامية، ومجدد القرن الثانى فى تاريخ الاسلام، المعروف بشاه ولى الله الدهلوى.

ولد فى بيت علم وفضل فى سنة ١١١٤هـ وكان والده الشيخ عبدالرحيم من وجوه مشائخ دهلى و أعيانهم، قرأ الكتب المتداولة فى مواضيع اللغة العربية والعلوم الدينية على والده الشيخ عبدالرحيم، كما درس على غيره من الاساتذة الكبار، ونبغ مبكرا بعد أن درس علوم اللغة والاصول والعقائد والمنطق والفلسفة والحساب والنحو والتفسير والحديث، وهو من العلماء القلائل الذين تعمقوا فى دراسة الفقه على المذاهب الاربعة والحديث النبوى، وقد جمع من العلوم الدينية والعلوم الحكمية والمعارف الربانية ما لم يتيسر الا للقلائل فى تاريخ الثقافة الاسلامية عبر القرون، وهو فى مرتبة الامام الغزالى وشيخ الاسلام ابن تيمية فى الهند الاسلامية.

وقد ألف كتبا كثيرة من أهمها: "حجة الله البالغة" و "ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء" و "فتح الرحمن فى ترجمة القرآن" و "المصفى شرح المؤطا" و "القول الجميل فى سواء السبيل" و "اللمحات" و "شفاء القلوب".

وأما فى مجال اللغة العربية والادب، فينفرد الشاه ولى الله ايضا بين معاصريه، بل بين من سبقه ولحقه باسلوبه فى كتابة النثر العربى الفصيح المرسل البعيد عن الصنعة والتكلف فى عصر قد غلب فيه اسلوب الحريرى حتى على الكتابات العلمية، وكتابه حجة الله البالغة خير شاهد على ذلك لأسلوبه العلمى الجزل الرصين الناصع، وقد أشار الى فصاحته فى اللغة العربية الشيخ عبدالحئ

الحسنى فى كتابه '' الثقافة الاسلامية فى الهند'' حيث قال: '' اذا سمعت من لفظه الرقيق المعرب البديع خيل اليك كأنما هو رجل نشأ ببادية من عليا هوازن، أو كانما أدبته امرأة من سفلى بنى تميم''.(٦)

واضافة الى ذلك فانه كان شاعرا مجيدا، ويدل شعره على قدرته الفائقةفى النظم وتمكنه من اللغة، وقد نظم قصائد عدة فى مدح الرسولﷺ، ومجموع مدائحه باسم '' أطيب النغم فى مدح سيد العرب والعجم'' ومن قصائده فى مدح النبى الكريمﷺ قصيدته الهمزية التى تحتوى على خمسة واربعين بيتا، وقد أعرض الشاعر فيها عن طريقة الشعراء الأقدمين حيث لم يبدأ القصيدة بذكر الديار والأطلال والبكاء والحنين والشوق وما الى ذلك، فيقول:(٧)

اذا أخبرت يوما عن ضياء فلا تلهج ببدر أو ذكاء
وان تمدح بجود أو سمو فلا تنظر بجود أو سماء
ولا تذكر أخاطيّ ومعنا اذا كلمت فى معنى السخاء
وان بينت فى المنظوم وجدا فحاشا أن تشبب بالنساء
فتلك شرائع للشعر قدما وقد نسخت بختم الأنبياء

يشق الشاعر طريقا جديدا فى القصيدة ويذكر الديار، لكن ديار النبى الكريمﷺ لا ديار المرأة، فيقول:

أرى طيفا يذكرنى عهودا بطيبة حيث مجتمع الرجاء
أثم به وبيضا من وميض تألق فى البقيع وفى قباء
تذكرنى احاديث التصافى مقامات بثور أو حراء
تصورت الديار فهام قلبى وهيج ذكرها منى بكائى
روت عندى شمائل عن حبيبى فأبكتنى وزادت من عنائى
أيا قلبى بأحزانى تقطع فلا سلوان لى بعد النواء
فهل من مشترى روحى بروحى يروّحنى بوعد من لقاء

وقد اجتنب الشاعر فى القصيدة عن الكلمات الغريبة والتعبيرات المليئة بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية التى تطغى على جمال المعنى ورقة الشعور، ومدح رسول الله ﷺ بما هو اهله من محامد ومعالى ومناقب، فيقول:

تعالى الله لا تحسبه فردا يفوق الناس طرا فى العلاء
ولكن الحقائق قد تداعت ممثلة أمام الاتقياء
وفى أمر الشفاعة حين يدعى لها من بعد عذر الانبياء
فيرحمهم بدعوتهم جميعا ويكرمهم باصناف العطاء

وله قصيدة اخرى وهى البائية التى تتألف من مائة وسبعة بيت، وفى بداية هذه القصيدة يقول:(٨)

كأن نجوما أومضت فى الغياهب عيون الأفاعى أو رؤوس العقارب
اذا كان قلب المرء فى الامر خاثرا فأضيق من تسعين رحب السباسب
وتشغلنى عنى وعن كل راحتى مصائب تقفو مثلها فى المصائب

ثم ذكر الشاعر شيم النبى الخلقية والخلقية، وكذلك ذكر تلك المصائب التى واجهها النبى الكريم ﷺ فى تبليغ رسالة الله عز وجل الى الناس، فيقول:

وآذاه قوم من سفاهة عقلهم ولم يذهبوا من دينه بمذاهب
فما زال يدعو ربه لهداهم وان كان قد قاسى أشد المتاعب
وما زال يعفو قادرا عن مسيئهم كما كان منه عند جذبة جاذب
أتانا مقيم الدين من بعد فترة وتحريف أديان وطول مشاغب

ثم بعد بشارة الويل والتهلكة للذين يشركون بربهم ويحرفون دين الله تعالى ويطرون فى وصف النبى ﷺ، ذكر الشاعر منن الله تعالى على الانسانية فى صورة النبى الكريم ﷺ، ثم أتى بالدلائل على صدق قول الرسول ﷺ وخلود الشريعة الاسلامية، فيقول:

فأدركهم فى ذاك رحمة ربنا وقد أوجبوا منه أشد المعاتب
وأرسل من عليا قريش نبيه ولم يك فيما قد بلوه بكاذب

وأقـوى دليـل عـند مـن تـم عـقـلـه على أن شرب الشرع أصفى المشارب

نـصـدق ديـن الـمـصـطـفـى بـقلوبنـا عـلـى بيـنـات فهـمهـا مـن غـرائـب

ثـم يعد الشاعر معجزات الرسول الكريم ﷺ الباهرة وياتى بها فى ابياته فى اسـلـوب رائـع رصيـن، وكـل هذه المعجزات مقتبسة من الأحاديث والسيرة النبوية، فيقول:

وكـم مـن مـريـض قـد شـفـاه دعـاؤه وان كـان قـد أشـفـى لـوجبة واجـب

ودرّت لـــه شـــاـة لـدى أم معبد حـليبـا ولا تسـطـاع حلبة حـالـب

وقـد سـاخ فـى أرض حـصان سراقة وفيـــه حـديـث عـن بـراء بـن عـازب

ثم أشار الشاعر الى حادث الاسراء والمعراج وذكر صفات النبى الكريم ﷺ وأوصـاف اصـحـابـه رضـى الـلـه عـنهم ، وفى الاخير يذكر حبه العميق للنبى ﷺ بقوله الذى يخرج عن القلب المتدفق بالهيام والغرام، فيقول:

فـمـن شـاء فـليـذكـر جـمـال بثيـنة ومـن شـاء فـليـغـزل لـحـب الزيـانب

ســأذكـر حبـى لـلـحبيب مـحـمـد اذا وصف الـعشـاق حـب الـحبائـب

وأذكـــر وجـــدا قـد تـقـادم عهـده حـداه فـؤادى قبل كـون الـكـواكـب

فـأشهـد أن الـلـــه راحـم خـلـقـه وأنك مـفتـاح لـكـنـــز الـمـواهـب

وانك أعـلـــى الـمـرسـلين مـكـانة وأنـت لهـم شـمـس وهـم كـالثواقـب

وأنـــت شـفـيـع يـوم لا ذو شـفـاعة بـمـعـنـى كـمـا أثنى سواد بن قـارب

وليـس مـلـومـا عنى صب أصابـه غـليـل الهـوى فـى الأكـرمين الأطالب

هـكـذا تـنتهـى هـذه الـقـصيـدة الغراء ، والقصيدة من البداية الى النهاية تمتاز الـفـاظهـا بـجـزالة مـعـانيها وفخامة اسلوبها و جمال أدائها، والقصيدة مملوء ة بروح الايـمـان الـعميق والحب الصادق، وقد أدى الشاعر فيها رسالة الشعر الحقيقية حيث لم يأت فيها معانى الفحش كالتشبيب بالنساء وهتك الأعراض وكشف الأستار وغيره ، بـل مـعـانـى أبيـات الـقـصيـدة مستـمدة من روح الاسلام وتعاليمه الكريمة وآدابه الصافية المنبثقة من الكتاب والسنة النبوية.

هـذه الـقـصيـدة البائية و تلك القصيدة الهمزية كلتاهما رائعتان فى الاسلوب

والمعنى ولهما وقع فى النفوس وأثر فى القلوب والعقول.

حسان الهند السيد غلام علي آزاد البلغرامي

(١١١٦هـ - ١٢٠٠هـ)

هو العلامة غلام علي بن نوح الحسيني البلغرامي، أشهر أدباء العربية وشعرائها في شبه القارة الهندية عبر القرون، كما هو اول مؤرخ للثقافة العربية والفارسية في الهند الاسلامية، ولد في سنة ١١١٦هـ في بلدة بلغرام وقرأ الكتب الدراسية على السيد طفيل محمد البلغرامي، ثم أخذ اللغة والحديث والسير عن جده، وخرج في سنة ١١٥٠هـ لسفر الحج، ولما عاد الى الهند توجه الى مدينة أورنغ آباد وظل في تلك المدينة الى ان وافته المنية في سنة ١٢٠٠هـ.(٩)

وكان غلام علي آزاد البلغرامي شاعرا اديبا مؤرخا، ومعظم مؤلفاته في تاريخ الثقافة الاسلامية في الهند وفي علمائها وشعرائها وأدبائها وصلحائها، وأشهر كتبه في هذا المجال " سبحة المرجان في آثار هندوستان " وهو أول كتاب ألف في تراجم علماء الهند الاسلامية وعلومها باللغة العربية.

ومما لا شك فيه أن العلامة غلام علي آزاد البلغرامي كان من أكبر شعراء اللغة العربية الذين أنجبتهم الهند، ويبدو من تتبع قصائده العربية انه كان شاعرا موهوبا، وكانت له قدرة فائقة على نظم الأبيات باللغة العربية ، حتى انه كان يقرض قصيدة كاملة في يوم واحد، فلم يبلغ احد من الشعراء الهنود الى ما كان عليه آزاد من الدرجة العالية في مجال الشعرالعربي، ولا يزال يعتبر أعظم شاعر عربي في الهند.

ومعظم مصنفاته توجد في النظم، فعلى سبيل المثال، كتابه "شرح البخاري الى كتاب الزكاة" يحتوى على عشرة آلاف بيت، و "شمامة العنبر في ما ورد في الهند من سيد البشر" و" تسلية الفؤاد في قصائد آزاد" يشتملان على ثلاثة آلاف بيت، و"سند السادات في حسن خاتمة السادات" يتألف من أربعة آلاف بيت، و"غزلان الهند" يشتمل على تسعة آلاف بيت، والديوان العربي يحتوى على ثلاثة

آلاف بيت.(١٠) واضافة الى ذلك له سبعة دواوين بالعربية باسم " السبعة السيارة" و قصيدة رائعة فى وصف أعضاء المعشوقة من الرأس الى القدم باسم "مرآة الجمال".(١١)

وكان الشيخ غلام على آزاد البلغرامى يمتلك نواصى اللغة العربية كما كان يتضلع من علومها و آدابها فاختارها للتعبير عن أحاسيسه المرهفة وعواطفه الجياشة، وبذوقه الأدبى الرفيع وقدرته الشعرية الفريدة كان يقرض قصائد غراء فى مدح النبى الكريم ﷺ واشتهر بلقب " حسان الهند" كما اشتهر خاقانى الشاعر المعروف للغة الفارسية بـ حسان العجم.

وقد بدأ غلام على آزاد معظم قصائده فى المديح النبوى بالنسيب والتشبيب الذى تعوّد عليه الشعراء الجاهليون فى المعلقات و غير المعلقات، فمثلافى قصيدة فى مدح النبى ﷺ استهلها بالنسيب يقول:

رمت أسماء قلبى فى الصلاء تشمم منه رائحة الشواء
طلبت عناية منها فسلّت على أمنيتى سيف الإباء
جفت قلبى فقرر خاطرى عن أفوّضه الى بعض الظماء
فقالت كعبة والله هذا فلا تجعله ملعبة النساء

وبعد النسيب يذكر صفات الرسول ويشير الى بعض المعجزات التى صدرت على ايدى رسول الله ﷺ ، فيقول:

هو خير من وطى التراب وخير من صعد السماء وخيرة الشرفاء
نطق المسيح بمهدة وبكفه صم الحصى سبحن كالأحياء
رجعت ذكاء الى القفاء بأمره وانشق صدر البدر بالايماء

وفى قصيدة اشتهرت بلامية الهند، وهى من أروع قصائده وابدعها، يذكر صفات الرسول ﷺ ومكانته العلياو مننه على الانسانية جمعاء، فيقول:

محمد زينة الأفلاك عنصره ووشى أردية الاسحار والاصل
فوق العباد وبعد الرب مرتبة وجوهر نزه عن وصمة المثل

الحمد لله رب العطول شرّفنا بأشرف الخلق هادى اشرف السبل

جلا عروسا من الدين الجميل منصة الدهر فى حل وفى حلل

ثم يذكر شريعة النبى الكريم ﷺ ويقول:

جاء ت فعطلت الأديان ملته وطلاوة البحر تمحو رونق الوشل

والقصائد الاخرى غير هذه القصيدة تشمل نفس المضمون الذى اشتملت عليه القصيدة اللامية وغيرها من القصائد، وقد أجاد الشاعر فى بيان السجايا للنبى الكريم ﷺ ووفق فى حسن اختيار الكلمات والالفاظ الملائمتين لبيان الخصا ئص الكبرى لذات الرسول ﷺ، فيقول فى احدى قصائده:

هذا النبى أمين وابن آمنة وقد هدانا الى يمن وايمان

أشار فانشق صدر البدر مؤتمرا والالتيام لحمرى خارق ثانى

كذلك تمزيق كسرى من خوارقه وما مضى مثله شق ايران

فاضت عيون لطاف من أصابعه غاضت بحيرة ارض ذات طغيان

ما زاغ فى ليلة الاسراء ناظره فكيف يرنو الى أطواد عقيان

وفى احدى قصائده يذكر نفس المضمون الذى يشتمل عليه هذه القصيدة فى الكلمات الاخرى، فيقول فى اسلوب رائع:

سرى ليلا الى فلك محيط ونور سوح يثرب بالسكون

ولو لا نوره الاعلى مقاما لما ظهرت خفيات الشيون

لقد فاضت اصابعه زلالا رويا فارتوت غلل العطون

وفى احدى قصائده يعبر عن حبه الصادق للرسول ﷺ بقوله:

غبار نعليه كحل فى بصائرنا جنابه مستطاب منتهى الطلب

تبدو من القلم الهندى مدحته كمثل سكرة تبدو من القصب

ويقول فى قصيدة اخرى مشيرا الى عظمة الرسول وفضله على الرسل كلهم والى الدعوة التى قام بها خلال ثلاثة وعشرين عاما فى مكة المكرمة والمدينة

المنورة، ويذكر الحكمة التى أعطاها الله رسوله، فيقول:

هو افضل الرسل الكرام جميعهم وأجلهم قدرا وارفع منصبا
هو صاحب التبليغ أوتى حكمة آتى أولى الالباب دينا اصوبا
وولاد هذا النور من أم القرى والى القيامة فى حضانة يثربا

وفى قصيدة اخرى وهى البائية يقول:

محمد فاتح البرايا وان أتانا على العقيب
دعاؤه جاء بالغوادى وكفه جاء بالصبيب
قد ارتقى فى السماء حقا وحل بالمنزل الرحيب

ومن قصيدته الغراء الاخرى:

رسول الله مستند البرايا افاد الدين والدنيا فخارا
رأى هو فى جبين العرش نورا وموسى فى جبين الطور نارا

ومن خصائص قصائد غلام على آزاد وميزاتها بانه اذا يمدح النبى الكريم ﷺ فيبدو ان الكلمات المستخدمة فى الابيات قد وضعت للمديح النبوى لا لغيره، وهذا من براعة الشاعر فى اختيار الكلمات ودليل على قدرته على اللغة العربية، وها هو نموذج لذلك:

أشرف الانبياء قاطبة ناشر الشرع ناسخ الملل
حجة الله فى بريئته مثبت الحق قاطع الجدل
فاق ضوء الضحى وصاحبه والخيال السريع فى العجل
بات بالعرش ضيف خالقه وتعشى بانفس النزل

ولا شك فيه ان الشاعر بذل كل مجهوداته ومؤهلاته الشعرية ومواهبه الفنية فى مدح سيد الانبياء والمرسلين وأجاد فيه فصار من الشعراء الكبار الذين لا توجد فى كلامهم شائبة العجمة، ولذلك يستحق الشاعر ان يعد من الادباء الكبار ويوازن كلامه بكلام فحول الشعراء العرب ويجدر بأن يكتب اسمه فى تاريخ المدائح النبوية

العالمى بأسمى آيات التقدير والاجلال والعظمة ، لأن الشاعر جميع ما عرضه فى المديح النبوى عرضه بالاخلاص، وفى ذلك يقول مخاطبا النبى الكريم ﷺ :

مدحتك اخلاصا ووجهك مقصدى وان كنت مشغولا بحسن التغزل

عرضت متاعا كان فى يد قدرتى وانى لارجو منك حسن التقبل

وهكذا يحتل الشاعر بين شعراء المديح النبوى الآخرين فى الهند مكانة مرموقة سامية لأجل قصائده الغراء فى مدح الرسو ل العظيم ﷺ، والحق انه لم يمض أى شاعرمن الشعراء الهنود حتى الآن الذين ساهموا فى المديح النبوى باللغة العربية مثلما ساهم العلامة غلام على آزاد البلغرامى فيه، فالشاعر يستحق أن يتلقى من جميعنا جزيل الشكر والامتنان.

الشيخ عبدالعزيز الدهلوى

(١١٥٩هـ - ١٢٣٩هـ)

هـو الشيـخ عبـدالعزيز بن ولى الله الدهلوى، ولد فى سنة ١١٥٩هـ فى دهلى، وكـان الشيـخ عبـدالعزيزالدهلوى آية من آيات الله فى الفضل والذكاء والعلم والفهم وسـرعة الـحـفـظ، وكـان يـقـرض الابيات فى اللغة العربية، وعلى قول صاحب نزهة الـخـواطـر، كـان نسيـج وحده فى النظم والشعر، له قصائد غراء فى مدح النبىﷺ وتـخـمـيـس عـلـى بائية ابيه العلامة الشاه ولى الله الدهلوىؒ وهمزيته(١٢) وقد توفى الشيخ عبدالعزيز سنة ١٢٣٩هـ.

يـدل شـعـره عـلـى قـدرته الفائقة على اللغة العربية والتعبير البليغ لأحاسيس التى كانت تجيش فى صدره، ومن شعره قوله:

يـا سـائـرا نـحو بأن الحى والاسل ... سـلـم عـلـى سـادة الأوطان ثم قل

مـا زلـت فـى بعدكم كالنار فى شعل ... والارض فـى كسـل والـماء فى ملل

أريـد لـمـحة وصـل استـضـئ بهـا ... فى ظلمة الهجر ضاقت دونها حيلى

مـا الـعيـش الا خيـالات أوجههـا ... الـى ذراكـم لدى الاسحار والاصل

وأمـا مـا أنشـد الشيـخ رحمه الله فى المديح النبوى، فمنه قصيدته الميمية فى الـمـوضـوع التى تمتاز بصدق العاطفة والخلو عن التعقيد والكلمات الحوشية والبعد عـن سـخف الـقول، وتمتاز بالمدح الغريق فى حب الرسولﷺ، بدأ هذه القصيدة بالتشبيب قائلا:

ألا يـا عـاذلـى دم فـى مـلامـى ... فـانـى لا احـول عـن الـغـرام

فـجـفـنـى سـاهـر مـا دمـت حيـا ... وقـلـبـى هـائـم والـدمـع هـامـى

وبعد التشبيب، يعطف عنان القلم الى مدح النبى الكريمﷺ، ويقول:

وان جـرتـم عـلـى فـلـى غيـاث ... بـبـاب الـمـصـطـفـى خيـر الأنـام

فـمـدحك رقيتـى وشـفـاء دائـى اذا مـا خـضـت فـى لجج السقـام
فـمـن لـى بـعـد مـا وهـنت عظامى اذا اشتـد البـلاء سـواك حـامـى
وان أك ظـالـمـا عـظمت ذنوبـى فـحبك سيـدى مـاحـى الأثـام
مـواهبك التـى لا نـقـص فيهـا بهـا ربيـت مـن قبل الـفطـام
فـقـد أعـطيـت مـا لـم يـعط خلق عـليك صـلاـة ربك والسـلام

وفـى البيـت " وان جـرتم على فلى غياث.....الخ" قد استغاث بالرسول، ومن المعلوم أن الاستغاثة بغير الله لا يجوز.

واما تخميسه على قصيدة والده الشاه ولى الله الدهلوى البائية، فيقول فيه:

غـمـومى نديمى والبلاء مصاحبى وسـقمى كآسى والمنايا مشاربى
تشـابه من فوقى وتحتى مصائبى كـأن نجوما أومضت فى الغياهب
عيون الأفاعى او رؤوس العقارب
لـقـد عـم اصـنـاف الخلائق رفقة وتـم عـلـى الأفلاك والرسل حقه
نبـى كـريـم بـاسـم الوجـه طلقـه ومـن أخبـروا عنه بأن ليس خلقه
بفظ وفى الاسواق ليس بصاحب

وفى تخميسه على القصيدة الهمزية يقول:

أيـا مـن دام شـغـلا بـالثنـاء ووصـفـا بـالـضيـاء وبـالبهـاء
ولا تـغـررك أضـواء السـمـاء اذا اخبـرت يـومـا عـن ضيـاء
فـلا تـلهـج ببـدر أو ذكـاء
أبـانـت بـرق يثرب لـى حـدودا وجـلـت عـنـد أحـداقـى خـدودا
ونـار الشـوق قـدزادت وقـودا ارى طيـفـا يـذكـرنـى عهـودا
بـطيبة حيـث مـجتـمع الـرجـاء

ومـن الـمـعـلـوم أن التـخـمـيس عـلـى قصيدة ليس بأمر سهل، بل يتطلب هذا مـواهـب بـاهـرة وقدرة علميةكبيرة، ولكن الشاعر الشاه عبدالعزيز قد غلب على هذا

الامر الصعب بطريق أحسن، لأنه كان من المتضلعين باللغة العربية وكان واسع الاطلاع على دواوين الشعراء القدامى قوى الإلمام باساليب الشعرومحاسنه ومعائبه، فقد اختار الكلمات الملائمة الرشيقة والمعانى الدقيقة والتعبيرات المانوسة التى زادت على القصيدتين رونقا و بهاء ا ، ولذا تفوح من تخميسه رائحة الفصاحة والبلاغة .

الشاه رفيع الدين الدهلوى

(١١٦٣هـ - ١٢٣٣هـ)

ولد الشاه رفيع الدين بن ولى الله الدهلوى سنة ١١٦٣هـ بمدينة دهلى ونشأبها، وكان محدثا كبيرا ومن نبغاء عصره فى العلوم الاسلامية والعلوم العربية، وقد توفى الشيخ سنة ١٢٣٣هـ بمدينة دهلى.

يقول العلامة عبدالحئ فى كتابه "الثقافة الاسلامية فى الهند" أن " له قصائد غراء، وتخميس على بعض قصائد أبيه، وله مصنفات فى العلوم الادبية" (١٣) ويدل على وسعة علمه وأدبه قصيدته فى مدح النبى الكريم ﷺ التى ذكر بعض ابياتها العلامة عبدالحئ فى " الثقافة الاسلامية فى الهند" كما ذكرها العلامة سر سيد احمد خان فى كتابه المعروف " آثار الصنادید" ومن هذه القصيدة الغراء:(١٤)

يا احمد المختار يا زين الورى ... يا خاتما للرسل ما أعلاكا

يا كاشف الضراء من مستنجد ... يا منجيا فى الحشر من والاكا

هل كان غيرك فى الانام من استوى ... فوق البراق وجاوز الأفلاكا

واستمسك الروح الامين ركابه ... فى سيره واستخدم الملاكا

أدناك ربك فى منازل قربه ... جلى لك الأكوان ثم حباكا

ألقى اليك كنوز اسرار سمت ... من حيطة الأفهام اذ ناجاكا

وسألت فينا العفو منه شفاعة ... فاجاب ربك قد وهبت مناكا

حتى اذا تم الدنو تسترت ... منك الهوية فى سنا مولاكا

فلك المناصب والسيادة للورى ... وخلافة الرحمن يا بشراكا

تحتوى هذه القصيدة على ثلاثين بيتا، ويحتوى كل بيت منها على نفائس الكلام وغرره بتعبير دقيق رقيق وباسلوب جذاب مملوء باحاسيس صادقة، والفاظ القصيدة سهلة وسلسة عذبة ورشيقة بعيدة عن التوغل فى المعانى والتكلف فى صناعة الالفاظ التى تسبب التعقيد.

ولم يبدأ الشاعر هذه القصيدة بالنسيب والغزل والتشبيب وذكر الديار والاطلال والبكاء عليها، بل بدأها مباشرة بالمديح النبوى، والقصيدة كلها عبارة عن بيان واقعة الاسراء والمعراج من رحلة النبى الكريم ﷺ المباركة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ومن المسجد الاقصى الى ما شاء الله أن يصل اليه الرسول الكريم ﷺ ، ومحتويات القصيدة كلها مقتبسة من القرآن العظيم والاحاديث النبوية الكريمة التى جاء ت فى بيان حادث الاسراء والمعراج، يقول الشاعر فى نهاية القصيدة:

جعلت لك الأقدار والانوار والجنات والنيران مرآكا
أعطاك تخفيفا وتيسيرا الى دين قويم محكم لقواكا
وسواه من نعم جسام ما لها عدّ و حد ينتهى أولاكا
فرجعت مسرورا لها فى لمحة وجميع خلق الله قد هنّاكا
أجريت دين الله بعد نضوبة ومحوت رأس الجهل والاشراكا
فلقد أتيتك سيدى مستجديا من سيبك المدرار حسن والاكا
يا ليتنى قد فزت منك بنظرة فى بدر وجه نوّر الاحلاكا

لا يوجد فى القصيدة شئ ينافى العقيدة الاسلامية الصحيحة، وقد سلك الشاعر فيها مسلك الحق والصواب والاعتدال فى وصف الرسول ﷺ .

الشيخ باقر بن مرتضى المدراسى

(١١٥٨هـ - ١٢٢٠هـ)

كان الشيخ باقر بن مرتضى من الشعراء المبرزين المفلقين باللغة الأردية والفارسية والعربية، قد ولد فى ١١٥٨هـ فى ويلور فى مدراس، وقرأ الكتب الدرسية على والده، وتلمذ على علماء عصره المبرزين فى العلوم والفنون والآداب العربية حتى فاق أقرانه، وهو أول من نقل العلوم الدينية من اللغة العربية الى اللغة الهندية فى مدراس، وقد اشتهر ببراعته فى معرفة النحو والصرف واللغة والكلام وعلم التوجيد والعقائد والمنقول والمعقول، وتوفى فى ١٢٢٠هـ.(١٥)

أما ما يتعلق بالشعر، فكان من الشعراء المفلقين المكثرين، وله العشرة الكاملة، وفيها عشر قصائد على طراز المعلقات السبع، وله ديوان الشعرالعربى فى الغزل والنسيب، و " النفحة العنبرية فى مدح خير البرية" و ديوانه " العشرة الكاملة" عبارة عن مجموع قصائده فى مدح النبى الكريمﷺ ، والحق أنه كان شاعر المديح النبوى وله عدة قصائد فى الموضوع زاخرة بالمعانى الجمة والتراكيب الفخمة والاساليب الرشيقة والكلمات المناسبة، وههنا نماذج من الابيات المختارة من قصائده التى تدل على مهارته فى الإنشاد فى فن المديح:(١٦)

محمد المبعوث للخلق رحمة ومرشدهم لطفا الى خير ملة

هو الشمس فى أوج الوجود ضياء ه يمد ظلالا مرة بعد مرة

تجلى على الأنظار طورا بكثرة تخلى عن الاسرار حينا بوحدة

وفى قصيدة تائية اخرى يشير الى مكانة النبى الكريمﷺ بين الانبياء والمرسلين قائلا:

كم أنبأالكتب القديمة أنه بالبينات وبالهداية يات

كم بشرت اهل الرسالة انه ختم الهداة بأشرف الدعوات

يـا ملجأ الكونين فى الدارين يا خيـــر الانـــام وسيـد السـادات

وفـى احدى قصائده يمدح النبى الكريم مشيرا الى سجاياه الكريمة ومعجزاته الخالدة وشمائله النبيلة، فيقول:

ليـــس مـن قـابـلـه قسـوة أمـــن مـــن قـاتـلـه بـالـقـنـا

بشّـــر مـــن أنـذره جـاهـلا واصـل مـن هـاجـره بالجفا

أوضـح كـالشـمس براهينه شيـد كـالـمـجد منـارالهدى

جـــاء اليـــه شـــجـر راسـخ مـمتثـلا وهـو سريع الخطى

وفى القصيدة البائية يمدح الشاعر النبىﷺ ويشير الى مجهوداته فى دعوة الناس الى الاسلام وتعاليمه وتثبيت دعائمه وتشييد مبانيه، فيقول:

مـحـمـد نـصـب الاعـلام حـجتـه لـدفع دين الهدى بالخفض للنصب

صـارت بـحبـل متيـن لا انفصام له خيـام اخبـاره مـمدودة الـطـنـب

هـذا ولا شك فـى ان بـاقـر بن مرتضى كان من الشعراء المتقدمين الكبار وأتى بـمدح خـالـص لـلـنبى الكريمﷺ فى قصائده من البداية الى النهاية، ولكنه أنشد بـعـض قـصـائـد بـدأهـا بالتشبيب متبعا مذهب الشعراء القدامى الجاهليين، فمثلا فى قصيدته الجيمية التى بدأها بالتشبيب يقول:

أأومـض البـرق من تـلـقـاء منعـرج أمـن انـجـلـى ثـغـرهـا البسام بالبلج

شـكـوت مـن صـدغهـا حالى لطرتها هـربـت مـن عـقـرب جهـلا الـى عمج

فـى طرفها حمرة الصهباء من خلدى ومـن سـويـدائـــه مـا فيـه مـن دعج

ثم يتدرج الى مدح النبى الكريم ﷺ قائلا:

مـــحـمـد كشف الأشـجـان نـفـحتـه وأنـقـذت كـل مـحـزون مـن الهـرج

دعـا الأنـام فـأرقـاهـم بـرحـمتـه مـن الـحـضيـض الى عال من الدرج

وله قصيدة اخرى ثائية، يقول فيها مادحا النبىﷺ :

أعـطيـت أمتك الـكـرام مكـانة عـلـيـاء مـا كـادت ترام وتورث

أنـت الذى تعلى منار فخارهم انـت الـذى لـهـم العطية تقعث

مفتاح أبواب الكلام ونطقه بسرائر الكنز الخفى محدث

وفى قصيدة اخرى دالية ياتى بمدح الرسول ﷺ على هذا النمط:

محمد خير من تحلى بحلية الحسن والرداد

هوالرؤف الرحيم يرجو نداه كالطائع المعادى

عليك تسليم ربنا ما أتى نسيم الحمى بجادى

ومثل هذه القصائد، له عدة قصائد اخرى مدح فيها النبى الكريم ﷺ باسلوب رائع جذاب، ففى قصيدته العينية يقول:

عليك صلوٰة الله يامن لذكره لأهل الصفافى النشأتين صوامع

عليك صلوة الله يا من لعطفه قد انتشرت فى كل عهد طلائع

عليك صلوة الله يامن لعلمه سوابق أنظار العقول توابع

وفى قصيدته السينية يمدح النبى ﷺ قائلا:

كنز العلوم محمد فى سره صارت عقول الرسل مثل حراس

قام الملائكة فى فناء جلاله متأدبين كهيئة الأغراس

ومن قصيدته الكافية:

بدا من محياه المضى بوارق لكل ضليل فى الغواية هالك

أتانا من المولى بخير صحيفة هدانا الى العقبى بخير المسالك

وفى قصيدة يمدح الرسول ﷺ فى الاسلوب التالى:

محمد شرف الأكوان بعثته ودينه نسخ الأديان كالدول

فى آخر العصر ابدى من هدايته برقا وكان سناه أول الأول

أتى بوحى بديع معجز ظهرت آياته الغر بالتفصيل والجمل

وفى قصيدة واوية يعبر عما فى خاطره من حب النبى ﷺ وغرامه بهذا النمط:

محمد الهادى الذى شاؤ فضله تنزه عن قيد النهاية والبدو

أتى بكتاب جل برهان نظمه فدان له اهل الحضارة كالبدو

هو السر من سفر الوجوه وغيره يشابه حرفا مستزادا من الحشو

وفى نهاية المطاف أريد ان اذكر بعض الابيات من قصيدته فى مدح النبى التى أشارالشاعر فيها الى تقصيره وقلة باعه فى مدح الرسول ﷺ ، فيقول:

ثنائى على أعلى جنابك حوبة فوا حسرتا لولا سترت عواريا

مديحك فى كتب الاله مسطر فأين انا منه وماذا بيانيا

اليك من الصعب الأسيف تحية لأشجانه ما كنت باللطف حاليا

يتضح بعد مطالعة قصائد باقر بن مرتضى اتضاحا بأنه قد تفنن فى المديح النبوى بالاساليب المتنوعة وبالتعبيرات الرائعة الجذابة ، وهذا يدل على براعته فى فن المديح النبوى، وقصائده تؤثر على نفس القارى والسامع، لأن الشاعر قد أشاد بعظمة الاسلام وبعظمة النبى الكريم ﷺ، وأجاد فى المديح بذكر أوصاف الرسول ﷺ وشمائله ومواقفه الحماسة فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية وجهوده فى سبيل إعلاء كلمة الله ورفع منارتها وتثبيت دعائمها وإرساء قواعدها، وقد اختار الشاعر لأداء هذه المعانى الكلمات المناسبة لها والتعبيرات البديعة والاساليب الادبية الرائعة .

كان هذا هو الفصل الاول الذى دار الحديث فيه عن بعض كبار الشعراء من المتقدمين وانتاجاتهم الشعرية فى فن المديح النبوى، والآن انتقل الى الفصل الثانى وهو الفصل الخاص بالعلامة فضل حق الخيرآبادى الذى كانت له قريحة مبدعة وبراعة تامة فى الشعر وخاصة فى المديح النبوى.

الفصل الثانى

الشيخ فضل حق الخير آبادى

هـو العلامة فضل حق بن فضل امام بن محمد ارشد الخيرآبادى، احد العلماء المشهورين، ولد فى قرية خيرآباد بمديرية سيتافور فى الاقليم الشمالى بالهند سنة ١٧٩٧م فى بيت علم وفضل، فكان والده الشيخ فضل امام احد كبار العلماء المؤلفين فى عصره وكان من نبغاء الدهر فى العلوم العقلية.(١٧)

درس فضل حق جميع العلوم على والده وتفنن عليه فى الفضائل الا علم الحديث، فقد درسه على العالم الشهير عبدالقادر بن الشيخ ولى الله الدهلوى.

كان الشيخ فضل حق يتمتع بذكاء خارق وجودة الحفظ حتى حفظ القرآن الكريم فى أربعة اشهر فقط، وانتهى من تحصيل العلوم فى شبابه المبكر ونبغ فى العلوم العقلية من منطق وفلسفة والكلام والتصوف، اضافة الى اللغة وقرض الشعر باللغة العربية، ويزيد شعره على قول صاحب " نزهة الخواطر" على أربعة آلاف بيت.(١٨)

وكان الشيخ فضل حق احد العلماء المبرزين فى العلوم والفنون، فكان طلبة العلم ياتون اليه من اقصى انحاء البلاد للاستفادة منه فدرّس وأفاد وأجاد، وقد استفاد منه طلاب العلم فى العلوم الحكمية والعلوم العربية.

وكما كان والده مؤظفا فى الدولة الانجليزية بدهلى، فكذلك توظف عندهم فضل حق فى ديوان الانشاء بدهلى، ثم انقلب عليهم عند قيام الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م ، وشارك فى الجهاد ضدهم مع قائد الثورة الأمير جوان بخت بن بهادر شاه ظفر، وأصدر الفتوى للجهاد ضدهم ولذلك قبض عليه الانجليز بعد إخفاق هذه الثورة ببضعة اشهر، ونفوه الى جزيرة اندومان الموجودة فى خليج البنغال حيث توفى بعد بضع سنوات فى ١٨٦١م.

كان الشيخ فضل حق يتمتع بمؤهلات وخصائص جعلته من عباقرة الرجال الذين قلما ياتى الزمان بأمثالهم، حتى فاق اهل عصره فى العلوم العقلية ، وقد شهد بنبوغه هذا العلماء المشاهير مثل النواب صديق حسن خان والعلامة عبدالحئ الحسنى، فقال نواب صديق حسن خان عن علو مرتبته فى العلوم "انه كان امام وقته فى العلوم الحكمية والفلسفية بلا مدافع" وقال صاحب نزهة الخواطر " وفاق اهل زمانه فى الخلاف والجدل والميزان والحكمة واللغة و قرض الشعر وغيرها".(١٩)

ألف العلامة فضل حق كتبا عديدة مفيدة وممتعة وترك لنا ثروة علمية ضخمة فى علم الخلاف والجدل والحكمة والتصوف واللغة، ومعظم انتاجه باللغة العربية ، ويظهر من مؤلفاته انه كان رجل العصر فى الفطنة والذكاء ، وكان فيلسوفا مفكرا بحق، ومن مصنفاته:

"الجنس الغالى فى شرح الجوهر العالى" وهو كتاب فى الحكمة الالهية ، و "الهدية السعيدية فى الحكمة الطبيعية" و" الروض المجود فى حقيقة الوجود " و حاشية على " تلخيص الشفاء " لوالده وحاشية على " الأفق المبين " للسيد باقر داماد، ورسالة فى تحقيق العلم والمعلوم، ورسالة فى تحقيق الأجسام و أخرى فى تحقيق الكلى الطبيعى و أخرى فى التشكيك و فى الماهيات، و " المرقاة " وهذا الكتاب من كتب المنهج الدراسى فى المدارس العربية فى الهند.

ثم انه سجل حوادث الثورة الهندية ١٨٥٧م فى رسالته، ولها قيمة كبرى، فانه كان احد المشاركين فيها، وله بعض القصائد فى هذه الثورة.

كان العلامة فضل حق الخيرآبادى من المتضلعين باللغة العربية وكان له شغف شديد بها، وقد آثر اللغة العربية فى تاليفاته و تصنيفاته على اللغات الاخرى، و هذا خير دليل على حبه العميق للغة القرآن الكريم، ومعظم انتاجه باللغة العربية يدل على قدرته وامتلاكه ناصية هذه اللغة، واما ما يتعلق باسلوبه ، فكان قد غلب

عليه اسلوب الحريرى من النثر المسجوع المقفى ، والمبالغة فى الصنعة والافراط فى تدبيج اللفظ والتفريط فى جانب المعنى كما سيطر عليه حب المحسنات البديعية من الجناس والطباق وغيرها كل السيطرة فى نثره ونظمه، وفى السطور الآتية، مقتطف من نثره المسجوع المقفى لإ براز حبه محسنات الكلام، فيكتب فى رسالة الى ابيه على وفاة ابن عمته محمد بقا:

" اقبّل ارضاء يهزء شميم ترابها العتيق، بالمسك الفتيق، والعنبر السحيق، واستلم عتبته هى قبلة طلاب التحقيق، و أرباب التدقيق، فياتيها الرجال رجالا على كل ضامر بكل فج عميق، من كل بلد سحيق بين يدى الامام الحبر، بل القمقام البحر مولانا الشيخ النحر، الهازبة شذرات كلامه بعقد السحر، وقلائد نظامه بعقود النحر، لا زال بابه مقصودا، وفضله محسودا، وكرمه محمودا، وظله ممدودا مدى الدهر بحرمة محمد الأمين صلعم (ﷺ) ".(٢٠)

شعره: مما لاشك فيه أن الشيخ فضل حق الخيرآبادى كان شاعرا كبيرا باللغة العربية وتتميز اشعاره بالاساليب الجذابة والكلمات الرنانة والاحاسيس الصادقة، ولكنه فى أكثر الاحيان قد زيّن قصائده بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية الى انها قد أثقلت جمال المعنى وحسن التعبير، وقد أشار اليه العلامة عبدالحئ الحسنى فى كتابه " الثقافة الاسلامية فى الهند" قائلا " وأتى فيها بكل لفظ لطيف ومعنى بديع لو لا انه أكثر فيها من التجنيس والاشتقاق".(٢١)

وقبل بداية الحديث عن قصائده فى المديح النبوى يحلو لى أن اذكر بعض نماذجه الشعرية التى قرضها فضل حق فى بعض الاحيان، وهذه الابيات ماخوذة من بعض مراثيه وغيرها، وتتصف بصدق العاطفة وبديع الخيال وروعة البيان، يقول فى رثاء مولانا فيض الله الشهيد:(٢٢)

أيامالليلى لا تسير نجومه ... ومالصباحى لا يهب نسيمه

كذبت ومن اين الصباح لجاذع ... بجنح دجى لا يستنير بهيمه

ومابال طرفى لا يلذ بنومة ... وقد طال جدا سهده ونجومه

لـقـد سـاقـه ظـلـمـا عـلـيـه أخ لـه يـعـاديـه مشـؤم الشـمـال لـئيـمـه
فـطـوبـى لـمـن يـودى شهيدا فيدخل الـجـنـان ويـلقى فى الجحيم خصيمه
لـه فـى جـنـان الـعـدن نعمى وللذى يـقـتـلـه سـوء الـعـذاب اليـمـه
فيا صاحب الفضل الديوم سقى ثرى ضـريـحك مـن غيـث يبث ديـومـه
عـليك سـلام الـلـه مـا قـال سـاهـر ايـا مـا لـلـيـلـى مـا تسير نـجـومـه

ولـه مرثية اخرى على وفاة نفس العالم مولانا فيض الله، وكان قد رأى مولانا فيض الله فى المنام قبل استشهاده النبى الكريم ﷺ، وفيها اشارة الى هذا الجانب فى بيتين، ومنها:(٢٣)

ايـامـا لـدهـرى بعد اسعاده عدا واعتدلى ادهى المصائب واعتدى
فـكـنـا زمـانـا لا نخـاف فـراقنا مـدى الـدهـر حتـى قيل لن يتبددا
فـلـمـا افـتـرقـنا بعد طول اجتماعنا بـلـيـنـا ببعـد مـا لـمـدتـه مـدى
قـتـلـت شهيـدا عبـد ربك شـاهـدا وقـد كـنت مشهود الكمال محسدا
تـعشيت فى الدنيا حميدا محسدا وفـارقتهـا متشهـدا متشهـدا
وقـد ايـقـنت نفسى بأن ستفوز بـ الشهـادة اذ زرت الـنبـى محمدا
فـحيّـاك اكـرامـا وضـمك رافة وآواك فى النادى وأرواك بالندى
سـلام عـلـى قبـر حـواك فـانـه حـوى مـنك احسـانا وبرا ومحتدا

وههـنـا نـمـوذج مـن الأبيـات التـى يتـجـلـى فيها اسلوبه المبنى على التجنيس والسجع:

هـل مـن مبـلـغ عـن ولهـان مشتـاق عـنـا وعـنـى فـى أطـواق أتـواق
مسلسل الدمع يروى عنه مسندة وصـدقـا،أحـاديث أشواق بـاسواق
مـن لا يرى الاثم فى نكث اليمين ومن يـمـيـن فـى كـل ميـعـاد وميثـاق

وأمـا مـا يتعلق بقصائد الشيخ فضل حق الخيرآبادى فى المديح النبوى، فهى ايضـا لا تـخـلـو بـقيـود الـصـنعة من الجناس والطباق وغرابة الكلمات والمحسنات البديعية ومراعاة النظير وغيرها من وسائل التجميل، ويجدر بالذكر أن الشيخ فضل

حق قد قام بتفضيل المدائح النبوية على المدائح والمراثى فى انتاجه الشعرى، كما ذكر الشيخ عبدالحئ الحسنى صاحب نزهة الخواطر " ونظمه يزيد على أربعة آلاف شعر وغالب قصائده فى مدح النبى ﷺ".(٢٤) وهذا يدل دلالة واضحة على حبه ومودته تجاه الرسول الكريم ﷺ، ويدل على حسن استخدام الكفاء ات الشعرية واعطائها المحل اللائق بها .

ومن قصائده فى المديح النبوى القصيدة الدالية التى تحتوى على سبعة و خمسين بيتا(٢٥)وقد بدأها بالنسيب متبعا عادة الشعراء القدامى من الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين، فيقول:

لا تنصبغ بهوى بيض الاماليد ... فاخمر الموت فى أجفانها السود

فى غمز ألحاظها فتك الاسود وان ... حاكين ريم الغلا بالطرف والجيد

قد خاب من غازل الغزلان يأملها ... وباد من رام أنس الريم فى البيد

دع المراشف واستعذ بهن ففى ... تلك العذاب عذاب غير مردود

كم فى هوى الحورمن حوروكم بهوى ... نواعس الطرف من هم وتسهيد

ان العقائل يعقلن العقول ولا ... يعقلن مقتولهن المهلك المودى

أشفارهن شفار بل أحدّ ظُبا ... ومرسل الصدغ أحبول التقئيد

قد صادنى نابل يرمى بلا خطأ ... ويلاه من عامد فى قتل معمود

سبقت فؤادى بفؤديها فليس له ... فاد وان كان يفدى كل مصفود

هندية هنّدتنى ثم هندت الأ ... سياف ظلما لقتلى أى تهنيد

رشفت وارتشفت خمرا لرضاب كما ... سقيتها و سقتنى ماء عنقود

ثم يتطرق الى مدح النبى ﷺ قائلا:

ما أطيب العيش لو لا أن مرجعه ... عما قريب الى قبرو يلجود

صرّفت ريعان عمرى فى هوى وودّ ... وما لذلك من عذر وتمهيد

فلا ملاذ سوى خير الورى جمعا ... فى الخلق والخلق والانسان والجود

ولذيا نجيد بمغناه الرحيب تفز ... فكم بمغناه من جود لمنجود

جداه نقد لمن ياتيه معتفيا ... فكم هناك من قود لمنقود

هـو الشهيـد عـليهـم والشـفيـع لهـم فـى يـوم هـول شـديـد الهـم مشهود

ان زاد آدم قـدرا عـنـد مـولـده فـكـم أب يـعتـلـى قـدرا بـمـولـود

وهـكـذا يـمـدح الـنبـى ﷺ بـأعلى صفاته وأفضلها، فالنبى ﷺ هو أفضل الـنـاس جميعا فى الخلق والخلق، وهو شفيع المذنبين من أمته والامم الاخرى كذلك يوم القيامة.

ثم يقول:

اختـاره الـلـه مـحبوبـا وأرسلـه لـرحـمتـه والارشـاد وتسديد

لأمة قـد تـمنى الرسل لـوحسبوا مـنهـا عـلـى مـاروى اهل المسانيد

فـاق الـنبيين طـرا فـى الـكمال وفى الـجـمال والـعـزم والاجمال والسود

فـلا يـدانيـه مـوسـى فـى العروج ولا فـى اليمن عيسى وفى الملك ابن داؤد

ولا ابـن يـعـقوب حسناوالخليل قرى ونـوح عـزمـا لـدى نـصـح وتهـديـد

وفى نهاية القصيدة يقول:

أنشـدتك فـاقبـل مـدحتـى كـرمـا حتـى أفـوز بـانشـادى بـمنشودى

اهـدى اليك مـديـحـا كـلـه غـرر ونيل نـولك بـالتـقـصيد مـقصودى

عـليك أزكـى صـلـوٰة الـله ماصدحت فـى مـورق البـان ورقـاء بتغـريـد

وهـكـذا مـدح الشـاعـر فـى هـذه الـقصيدة الرسول ﷺ وعد صفاته الكريمة وشـمـائـلـه الـنبيـلة، ولا شك فيـه أن هذه القصيدة تدل على قدرة الشاعر على اللغة الـعـربية وتضلعه منها، وقد أتى الشاعر فيها وخاصة فى بدايتها بالمحسنات البديعية مـن الـجـناس والطباق التى جعلت هذه القصيدة شبه ألغاز، اما الابيات التى مدح بها الـنبـى الـكـريـم ﷺ فـليست مكبلة بقيود المحسنات بل جاء ت على سجيّتها بعض الابيات التى قد مسها شئ من التجنيس الذى يقلل من قيمة الانتاج الأدبية.

ومـن القصائد الاخرى قصيدته الهمزية فى فتنة الثورة الهندية، هذه القصيدة تـحـتـوى عـلـى مـائة وستة وثـمـانيـن بيتـا(٢٦) وبـدأها الشاعر بذكر آلامه ومصائبه ونوائبه ومظالم الانجليز وأجوارهم ومكرهم وخداعهم، فيقول:

لـجـوى لـــه بـجـوانـحـى ايـراء جـمـد الـدمـوع وذابـت الأحشـاء
ولـمـا ألـمّ مـن الـنـوائـب والـنـوى يبكـى الـصـديـق ويشمت الأعداء
انـى بـلانـى خـدعة امـرأة(٢٧) بلى كيـد عـظيـم مـا تـكيـد نسـاء
ثـم اعتـدى عـمـا لـه اذ مـا زعـوا ميثـاقهـا فـاتـانـى استدعـاء
مـنهـم فـعنّونـى، فـعـنـونـى كما لـم يـنـو فيـمـا عـاهـدت ايفـاء
قـد ضيـقـوا عيشـى عـلـي فـعفتـه ونسيـت عيشـا كـان فيـه رخـاء

ثـم يـذكـر الشـاعـر ايامه ولياليه فى منفاه بكلمات تذوب القلوب عند سماعها و ترتـعـش الأعضاء عند قراء تها، ويصورها تصويرا بالغا ويعبر عنها بدقةو براعة تامة فيقول:

يـومـى وليـلـى فـى اشتداد حـرارة ودجـى هـمـا البـاحـور والـداداء
فـالـليل سـاج مـا لـه صبح ولا لـلـيـوم غـوض عشية و مسـاء
حـجـروا عـلـى واسـكـنونى حجرة لـم يـأتهـا غيـر السـمـوم هـواء
سـلبوا الكسى لبسواعلي كساء هم مـالـى سـوى ذاك الـردئ رداء
سـود الـكبـود وجـوههم بيض لهم فـى الـجـلـد لين فـى القلوب قسـاء
أسـروا وأسـرونـى الـى جبل بـه قـد بـاد مـن إسـرائهـم أسـراء
مستـوبـل حـاق الـوبـال لـكل من يـاتيـه اذ عـمـت بـه الأوبـاء
قـد مـات أحيـاء من الاسـراء والـ بـاقـون لا مـوتـى ولا أحيـاء
مـا فيـه لـلـموتـى صلوٰة جنازة وثـرى ولا كـفـن لهـم وغطـاء

وبعد ذكر مظالم الانجليز واستبدادهم وأجوارهم فى اسلوب جذاب، يستطرد الشاعر ويتطرق الى ذكر النبىﷺ برفض ولاء الانجليز لكونهم أعادى الرسول العظيمﷺ، ويمدح النبىﷺ بصفاته الرفيعة السامية النبيلة قائلا:

كيف الـولاء وهـم أعـادى مـن لـه خـلـق السـمـاء والارض والانشـاء
هـو اول الـنـور السـنـىّ تبلـجـت بـضيـاء ه فـى الـعـالـم الأضـواء
قـد خـصـه البـارى بـاوصاف علىً لـم يـعـطهـا الاحـداث والـقـدماء

أسماه اذ اسماه بالحسنى فمن اسماء خالقه له اسماء

بر رحيم مفضل ذو قوة هاد رؤف محسن معطاء

قد زاد مكة رفعة ميلاده وتشرفت بوجوده البطحاء

قد طاب طيبة اذ ثواها واعتلت شرفا يُيَمّمُ ساحها البعداء

بشر بشير بشرت زُبُر به من قبله أنبا به الأنباء

ويذكر فيها بعض معجزات الرسول الكريم ﷺ ، فيقول:

أومى الى القمر المنير فشقه وابانه شِقّين ذا الإيماء

حَيّته احجار واشجار وكم نطقت له بفصاحة عجماء

أروى بماء من اصابعه جرى عطشى فانهلهم روى و رواء

ثم يمدح آل النبى ﷺ و اصحابه فى بضعة اشعار، وفى الاخير يلتفت الى الله سبحانه وتعالى ويدعوه دعاء المضطر للخلاص من مصائبه ونوائبه وللنجاة من آلامه واحزانه ويستغفره ويطلب العفو منه ويصلى على النبى ﷺ ويسلم تسليما قائلا:

يا رب حقق لى رجائى ولا يكن لى فى النجاة من العدى ارجاء

رب أعف عنى ما اقترفت واعفنى فرجائى منك العفو والاعفاء

فارحم علي وقد دهانى فتنة لم تغن عنها فطنة ودهاء

ووسائل ربى اليك محمد والمرتضى وابناه والزهراء

يا رب صل عليه ما صدحت على الأيك الوريق حمامة ورقاء

حياهم الرحمن ما احيى حيا ارضا وسحت ديمة وطفاء

هكذا تنتهى هذه القصيدة، والقصيدة كلها تعبر عن أحاسيس الشاعر الصادقة وخياله الواسع الذى وضع عليه بناء هذه القصيدة، وفيها بيان رائع لتلك المصائب التى واجهها الشاعر أثناء منفاه فى جزيرة اندومان، وفيها ابيات فى مدح النبى ﷺ جاء ت بعد الحديث عن بيان الشاعر آلامه ونوائبه فى السجن، وفى هذه القصيدة ايضا محسنات الكلام من الجناس والطباق وغيرها .

ولـه قـصيـدة اخـرى قـالهـا فى فتنة الثورة الهندية، وفيها ايضا مدح الرسول الـكـريـم ﷺ فـى نهاية القصيدة وجعله وسيلة للنجاة من مصائبه ومتاعبه، وهذه القصيدة تشتمل على مائة بيت(٢٨) وفى مستهلها يقول الشاعر:

عـودى فـعـودى مـريـضا دائـه عادى ... أشـفـى على الحَين حتى عاده العادى

عـوّاد سـقـم قـلـبـىْ عَـوّادُه ولهـوا ... وكـــان يـــلهـــى بـــزمّـــار وعـــواد

داء دواه عيـــــــاء لا دواء لـــــــه ... حـمـامـه حـاضـر مـن سقمه البادى

ثـم يتطـرق الشـاعـر بعد ذكر طويل مصائبه وآلامه، الى مدح الرسول الكريم ﷺ فيقول:

غـوث الـمـنـادى لـكف البـاس مفزعنا ... يـوم التـنـادى نـدىّ الـكف فى النادى

هـــاد وحـــام ومـــاح مـــائـح لِـغـو ... عـــم ومستـصـرخ مستشـفـع جـادى

هـــدى سبيـــلا سـويـا كـل مـنـحـرف ... عـــن السبيـــل وســـوى كـــل مئتـــاد

بـــحـــر شـــريـعتـــه بيـضـاء صـافية ... مشـــروعهـــا مشـــرع عـــذب لـــوُرّاد

ختـــم الـــنبييـــن أولاهـــم وأولهـــم ... بـــدء لبـــدى ســـنـــاه بـــدء ايـــجـــاد

فـديـنـــه نـــاسـخ الاديـان قـاطبة ... بـــاق عـلـــى مـــر احـقـــاب وآبـــاد

وفى نهاية القصيدة يقول:

نـاشـدتك الـلـه فـاقبـل مـدحتى كرما ... حتـى افـوز بـمـنشـودى بـانشـادى

عـليك أزكـى صـلـوٰة الـله ماصدحت ... ورقـــاء ايك وريـــق أوشـدا شـــادى

هـذه الـقـصيـدة كـلـهـا، مثـل قـصـائـده الاخـرى، مـليـئة بالصناعات اللفظية والـمـحسـنـات البـديـعية مـن الـجناس والطباق، وقد جاء فيها الشاعر بالفاظ ضخمة وتـراكيـب فـخـمة يـنبو عنها السماع وتأباها الطباع، أما محتويات القصيدة فهى مليئة بأحاسيس صادقة وعواطف نبيلة وانطباعات قلبية.

وبـجـانـب هـذه القصائد، له قصائد اخرى كثيرة فى المديح النبوى، وههنا فى السطور التالية نماذج من بعض قصائده فى المديح النبوى، ومنها:(٢٩)

يـاسـائـلا عـن شانه يغنيك عن تبيانه ... دمع جرى فى شانه هملا وفرط عنانه

ماذا تسائل نازعا قاصى المواطن نازحا ... عـنـهـا اليـهـا نـازعـا يشـكـو أسـا توقانـه

واذا تألق بارق او سح وبل وادق　　فاجاه دمع دافق وذكا نطى نيرانه

يزداد فى هيمانه ويهن فى اشجانه　　ان اورق فى بانه غنى على اشجانه

ومن قصيدته المشتملة على ١١١ بيتا:(٣٠)

خفا خفى هواه دمعه الجارى　　لما خفا بارق بادى السنا شارى

ويلاه من هائم كلف تكلف ان　　يبدى التجلد اسرار الاسرار

كم بات فى عضدى من لو تأمله　　بدر لعاد هلا لا بعد ابدار

لله در زمان بالحبيب مضى　　لو كان يبقى وهل باق سوى البارى

وكذلك من قصائده فى المديح النبوى، قصيدته الدالية التى تتألف من ثلاثة و اربعين بيتا، ومن ابياتها:

واها لواه مكمد　　فى جنح ليل سرمد

قد بات ليلة أرمد　　يلقى القذى من اثمد

ويقول يشكو ليله　　يا ليل هل لك من غد

خير الورى وأبرهم　　جمعا و كاشف ضرهم

و لجائهم فى أمرهم　　وشفيعهم فى المشهد

حامى الحقيقة انجد　　اعلى الخليقة أمجد

زاكى الخليقة احمد　　خيرالأنام محمد

ثانيه ليس بممكن　　عند الحصيف المهتدى

يتضح من هذه الابيات كل الاتضاح تضلع الشاعر فضل حق الخيرآبادى من اللغة العربية وتمكنه منها، وكذلك يبرز منها ذوقه الادبى الرفيع الغريق فى حب النبى الكريم ﷺ وغرامه ومودته ووفاء ه ، وتظهر بها مكانته الرفيعة السامية بين شعراء العربية الهنود .

ومن أحسن قصائده وأروعها وأجودها فى المديح النبوى قصيدته الميمية الشهيرة التى تحتوى على اثنتين وتسعين بيتا(٣١) بدأها الشاعر بالنسيب قائلا:

فؤادى هائم والدمع هامى　　وسهدى دائم والجفن دامى

فـقـلـب مـا فتـى بـجـوى ولـوع ولـوع فـى اضـطـراب واضـطرام

ودمـع بـل دم صـرف جـرى مـن يـنـاطـى سـاجـمـا اى انسجام

وطـرف أرمـد يـوذيـه غـمـض وليـل سـرمـد سـاجـى الـظـلام

طـويـل لا يـقـاس بـه الـظـلام فسـاعتـه كشهـر بل كـعـام

حـمـامـى حـاضـر والوجد بـاد وجسـمـى ذابـل والشـوق نـام

أذاب الشـوق أحشـائ وأورى نـظـىً فـى اضلعى وأبلى عظامى

سـرى فـىّ الـغـرام فـصـار غرمـا وذاك الـغـرم مـن أوهـى الـغـرام

وبـعد نهاية النسيب الذى يشتمل على خمسين بيتا، يعطف الشاعر عنان القلم الى مدح الرسول ﷺ، ويقول:

فبِتـنـا ثـم صـلـيـنـا ولـذنـا بـجـاه مـحـمـد خيـر الانـام

شـفيـع الـخـلـق احـمدهـم جميعـا حـميـد الـخـلـق مـحـمـود المقـام

مـلاذ الـنـاس اذ لاذو خـلال لـفـاد بهـم ولا حـان وحـام

أبـر الـنـاس انـداهـم يـمـيـنـا أوفـاهـم جـمـيـعـا بـالـذمـام

سما من فى السما والارض فخرا فـلـيـس لـه سـمـىّ او مسـام

مشـاع الـفـضـل مـنـقسم العطايا ومـا لـلـفـضـل فيـه من انقسام

فـلـيـس لـه عـديـل فـى اعتـدال وعـدل او قسيـم فـى الـقسـام

مـحـىٰ وحـمـى اباطيـلا وحـقـا فـمـا اعـلاه مـن مـاح و حـام

حـمـى وسـمـا فما حام وسام يـلـيـه فـى بـنـى حـام و سـام

تـقـدم آدم خـلـقـا ومـوسـى بـمـعـراج و نـوح بـا عتـزام

وابـراهيـم اكـرامـا وعيسـى بيـمـنتـه و يـوسف بـالـوسـام

و داؤدا و وارثـه بـمـلك وحـكـم بيـن أربـاب الـخـصـام

وفى بعض الابيات يشير الشاعر الى بعض معجزات النبى الكريم ﷺ قائلا:

شـواهـد صـدقـه حـجـج رواهـا مسـلسـلة امـام عـن امـام

كـلام بهـائـم وحـنيـن جذع ونـطـق حـصـى وتسبيـح الطعام

بـمـولـده هـوى أيـوان كسـرى وأشـرف مـا بـنـاه علـى انهدام

فـعـاد بـصـدعـه كسـرى كسيـرا و ألـصـق أنف كسـرى بـالرغـام

بـدا نـور فبصّـر دور بـصـرى لأعيـن قـاطـنـى البلـد الـحـرام

وفى نهاية القصيدة يقول:

فسـل ربـى ليـوديـنـى شهيـدا بـطيبة عـنـد عـزتك الـكـرام

ويـوزعـنـى بـحـج واعتـمـار فـارغـب فـى الـحطيم عن الحطام

انـا السـادى فـنـاولنى شـرابـا طهـورا سـائـغـا يـروى اوامـى

الامَ احـوم عـطشـانـا هيـومـا وبـحـر نـداك غـمـر اللج طـامـى

عـليك صـلـوٰة ربك مـا تـغـنت عـلـى ورق الـغـضا و رُق الحمام

وهـكـذا تـنتهـى هـذه الـقـصيـدة الـغـراء ، و ابيـات القصيدة كلها مكبلة بقيود الـصـنـاعـات الـلـفـظية و محسنات الكلام من التجنيس والاشتقاق مثل ما توجد هذه الـصـنـائـع والبـدائـع فـى انتـاجاته المنثورة والمنظومة الاخرى، وفى نهاية المطاف يسرنى ان أنقل قطعة من كلام الدكتور صدرالحسن الندوى صاحب كتاب " المدائح النبوية فى الهند" وهو يناقش فى صدد هذه القصيدة:

" الـقـصيـدة كـلـهـا تـلـفـت نـظـرالبـاحث الناقد الى التزام الجناس والطباق و استـخـدام الالـفـاظ الـغـريبة الـحوشية للشاعر، مع ان هذه القصيدة الميمية هى من أجـود قـصـائـده وأروعهـا وأشهـرهـا، فـاذا كـانـت الـقـصيدة الرائعة مكتظة بالالفاظ الـضـخـمة والتراكيب الفخمة والمحسنات البديعية فما بال تلك القصائد التى هى دون هـذه الـقـصيـدة، وعـلـى رغـم هـذه و تـلك فالقصيدة تحتوى على احاسيس صادقة وعواطف نبيلة وانطباعات قلبية".(٣٢)

واضـافة الـى هـذا، يـجـدر بـالـذكـر فـى صـدد بـعض ابيات الشيخ فضل حق الـخيرآبادى، انه قد استغاث فيها عن الرسول الكريم ﷺ ، والمعلوم ان الاستغاثة

لا تجوز الا بالله ، فمثلا فى قصيدته الهمزية فى فتنة الثورة الهندية يقول:

يـا رحـمة لـلعالمين ارحم على مـن لا لــه فـى الـعـالمين رثـاء

ويقول فى القصيدة الميمية:(٣٣)

هـمـام يستـغـاث لكل هـم فيـكشف كـل هـم باهتمام

رحـم الـلـه الشـاعـر و غـفـر لـزلاتـه و يـوفق كل مسلم لما فيه خيره فى الدنيا والآخرة، انه غفور رحيم .

الشيخ حبيب الرحمن العثمانى

ولد الشيخ حبيب الرحمن بن فضل الرحمن العثمانى الديوبندى فى مدينة ديوبند حوالى سنة ١٢٧٥هـ ودرس فى دارالعلوم من المرحلة الابتدائية الى المرحلة النهائية، وتخرج فيها فى سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م ، ونظرا الى مهارته فى الشئون الادارية وقع عليه الخيار لوظيفة نائب مدير دارالعلوم فى ١٩٠٧م ، وبعد ان مضت عدة سنوات شد رحاله الى حيدرآباد فى سنة ١٩٢٥م حيث شغل منصب الافتاء، وما أن لبث هناك لأقل من سنة حتى رجع الى ديوبند وعين مدير دارالعلوم بعد وفاة الشيخ الحافظ محمد احمد فى نفس السنة، ويقال انه من حسن حظ دارالعلوم بديوبند أنها حظيت بخدمات رجل مخلص متبصر ومتوقد الذهن وماهر فى شئون الادارة مثل الشيخ حبيب الرحمن العثمانى، فقام بدور كبير فى تنمية الدار ونتيجة لذلك تقدمت الدار وازدهرت ابان ادارته بفضل ما كان يمتاز به من حدة الذهن والذكاء والاجتهاد، ومما يدل على مدى اعتنائه بالامور الادارية لدارالعلوم انه كان يقيم فيها ليلا و نهارا.

وقد أعطاه الله المؤهلات الادارية الخاصة والفهم العميق فى الشئون السياسية حتى كان يجدر به ان يكون وزيرا، هذا وانه الى جانب مسئولياته الادارية المتنوعة كان مشغولا بمطالعة الكتب لحد كبير مما جعله شخصية واسعة الاطلاع وملما بالادب والتاريخ، فكان عالما محدثا فقيها مديرا ومن أساتذة دارالعلوم وفضلائها تفتخر بهم دارالعلوم، قضى حياته كلها فى الدرس والافادة.(٣٤)

توفى العلامة حبيب الرحمن العثمانى فى ٤ رجب من ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م (٣٥)فسقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه.

شعره: كان الشيخ حبيب الرحمن العثمانى اديبا بارعا قوى الاسلوب ويعد من أكثر

علماء دارالعلوم قدرة على نظم الشعر باللغة العربية، وكان يقدر قدرة جيدة على قرض الشعر باسلوب ممتاز بالسهولة والسلامة والفصاحة والروعة والاصالة اللغوية التى يمتاز بها فحول الشعراء فى العصر الجاهلى، وله ديوان شعر مطبوع باسم "معين اللبيب فى جمع قصائد الحبيب" وقصيدة اخلاقية مناجاتية ومجموع قصائد ومراثى قطعات تاريخ الوفاة، وفيما يلى أبيات مختارة من تلك القصائد التى قالها الشيخ العثمانى فى موضوعات مختلفة نتعرف من خلالها على قدرته الموفورة الفائقة فى قرض الشعر.

ففى موضوع الحمد والمناجاة، له قصيدة اخلاقية مناجاتية ملقبة بحكمة الشعر، وهى تتألف من احدى و سبعين بيتا، وتوجد فيها عشرون صنعة لفظية ومعنوية بيّنها الشيخ اعزاز على فى مقدمته على تلك القصيدة(٣٦) ومن ابياتها:

لاتيأسنّ ان يصبك ضراء ففى غد يعقب الضراء السراء

الدهر ذو غير والناس فى عبر والحال منقلب بؤس ونعماء

بينا ينوبك اهوال تزول بها شم الجبال ورضت منه صماء

اذ هبت الريح يتلوها ببارقة من وابل اللطف مدراء وسماء

فاختر لنفسك ما يرضى الاله به فى حالتيك ولا يقلقك ارزاء

وأما ما يتعلق بالمدح والثناء، فله عدة قصائد فى هذا الموضوع، فعلى سبيل المثال، مدح الشيخ العثمانى مير عثمان على خان سلطان دولة الدكن فى عهد الحكم البريطانى بعدة قصائد، وانه لم يقل هذه القصائد للحصول على مكاسب مادية،فقال فى احدى قصائده:

وليس من خلقى مدح لمكسبة ولا ازدراء لعرض الناس يشغلنى

لكن حبى لعثمان الغنا سلفا يحدو لسانى الى الافصاح بالمنن

بل وقرضها نظرا لما لمسه لديه من عناية بالغة واهتمام كبير بشئون الدين والمدارس الاسلامية الدينية ومنها دارالعلوم بديوبند، ومن هذه القصائد ما قاله

حينما صدر قرار عن المير عثمان على خان بالتبرع بخمسمائة روبية شهريا لدارالعلوم، وهذه القصيدة مثل قصائده الاخرى تمتاز بقوة البيان ومتانة السبك وروعة الاسلوب مثل اسلوب المتقدمين من الشعراء العرب، خاصة فيما يتعلق بالتشبيب، فيقول:

راحت سليمى فهاجت منك اشجانا وأوقدت فى الحشى والقلب نيرانا
وما سليمى غداة البين اذ رحلت الا لعاب لطيف الخصر ريانا
صيغت بقالب حسن واكتست حللا من الجمال تماما حيث ما كانا
بالقد معتدلا والخد ملتمعا والوجه كالبدر تمثالا وعنوانا
فاقت ببهجتها راقت بطلعتها سبحان يا من كساها الحسن سبحانا
أمسى وأصبح فى سهروفى أرق ارقرق الدمع كالوسمى هتانا

وفى نفس القصيدة يقول فى ذكر ممدوحه:

اذا رمتك يد البلوى بداهية ناد الخليفة ظل الله عثمانا
الفائض الجود سحا غير مكترث والقاهر المارقين اللد طغيانا

ويقول فى قصيدة اخرى فى نفس الموضوع مادحا مير عثمان على خان:

انى لما بى من عىّ ومن لكن وما يثبّط عما ليس ينفعنى
لا اركب النفس صعبا لا قياد له ولا بنانى لنظم القول تسعدنى
ان الملوك اذا قيست مكارمها وماحووها من الاقدار والمنن
عثمان اظرفهم عقلا واروعهم قلبا واعلمهم بالفرض والسنن
عثمان انداهم كفا واجودهم جودا وابذلهم فى السر والعلن
عثمان اوسعهم صدرا وأرفعهم ذكرا وانفعهم للبائس الحزن

وأما ما يتعلق بموضوع الوصف، فللشيخ حبيب الرحمن العثمانى قصيدة تشتمل على سبعة وثلاثين بيتانظمهافى شان دارالحديث بدارالعلوم بديوبند، وبيان منزلتها وشرفها عندالله، فقال:(٣٧)

اشاقك من دارالحديث قصورها ترآى بها دارالنعيم وحورها

نـعـم انهـا قـد احتـوت الـمـنـى لـطيبة فيهـا طيبهـا ومـرورهـا

فيـا طيـب انـفـاس لـطيبة اشرقت بهـا الارض انـوارا فتم حبورهـا

أضاء ت لها الالوان وانجاب غيّها وزالـت عـمايات الهوى وستورها

وأمـا مـا يتعلق بموضوع الرثاء، فله عدة مراثى منها ما قال على وفاة المولوى عبـدالبـاقـر خـان، وعلى وفاة الشيخ الشاه عبدالرحيم الراى بورى، وفيما يلى ابيات مـختـارة من بعض مراثيه ، وانها تدل على أصالة اسلوبه وقدرته الفائقة الجيدة على قرض الشعر، يقول فى رثاء المولوى عبدالباقر خان:

مـا بال عينك كالسحاب الماطر أومـا لـقـلبك فـى جناحى طائر

أعـراك هـم أو نبـا بك مـضجع ام غـال صبرك حادث فى غابر

نبـأ أتـانـا ان نحبا قد قضى ذاك الـنبيـل الشهـم عبـدالباقر

بتـنـا زمـانـا فـي مـحافل أنسه مـن بيـن مستـمع وآخر سامع

تـرك الأحبة فـى عـنـاء فـادح ومـضى لمرضاة الكريم الغافر

ويـقول فى مرثيته على وفاة الشاه عبدالرحيم الراى بورى، وهى تحتوى على خمسة وستين شعرا(٣٨)و منها:

اهـاجك وجـدا فـالـدموع هـوامـع خـلاء الـمـلاهـى والـديـار البـلاقـع

مـحت رسـمهـا هـوج الرياح وغادرت أثـافيّهـا سـفـعـا بـروق لـوامـع

اسـائـل عـنهـا اهـلهـا فتـجيبـنـى خـلـت عـن أنيـس ليس داع وسـامع

تـراهـا وقـد كـانت بهيـجا رواقهـا مـرابـع غيـد لـلـظبـاء مـراتـع

ومـا مـونـقـات الـروض تبسم زهرها وتـفـتـر الا انهـن مـصـارع

وبـالاضـافة اليهـا، لـه مـنـظـومة طـويلة تحتوى على ١٠٩ أبيات تحت عنوان ''عروج الاسلام ونزوله '' فيقول فيها:(٣٩)

ألا مـا لـلـدوائـر لا تـزال ومـا لـلـنـازلات لهـا انهمـال

تـذكـرت الـزمـان زمـان لهو وعيشـا نـاعـمـا فيـه الوصال

وأيـام لـنـا غـرا طـوالا لهـا فـى الـدهـر آثـار وقـال

بدا الاسلام فى الدنيا غريبا ... وليس له حواء أومحال

ارينا الناس نهجا مستقيما ... قويما لا يزاحمه ضلال

كذا كنا ملوكا فى نهار ... و رهبانا اذا انطفأ الذبال

أضعنا الدين لما أن بطرنا ... وغرّتنا الأمانى والمحال

وضيعنا الشريعة فافتضحنا ... وصرنا صاغرين ولا ندال

ركبنا ما نهينا وانتهكنا ... محارمه وذا داء عضال

وكذلك له منظومة أخرى تشتمل على سبعة و ثلاثين بيتا تحت عنوان" فى حنين الجذع"(٤٠) وقد نظمها حين كان يعانى من مرض، يقول فيها:

نما فى القلب والأحشاء داء ... رسيس ليس لى منه شفاء

اموت تحسرا وأذوب حزنا ... ولا يغنى الصباح ولا المساء

وما دائى غرام بالغوانى ... ولا فى وصلهن لى اعتناء

ودائى أننى فى غير داء ... خلى القلب ليس به عناء

وكما له منظومة اخرى تحتوى على ستة و عشرين بيتا فى بيان " تراكم الفتن على الاسلام وأهله "(٤١) فيقول فيها:

ما بال عينك بالعبرات لا تكف ... وما لقلبك لاهم ولا اسف

وكيف ترفد طول الليل فى دعة ... ولا يزوعك أمر دونه تلف

عمّ البلاء وشاع الجهل وانقشعت ... سحائب الفضل لا ظل ولا وكف

وأصبح الناس فى عمياء مظلمة ... لا يهتدون لمعروف ولا عرفوا

ترعرعت جنبات الارض عن حدث ... شم الجبال له تهوى وتنتسف

بقاديان تنبأ غير مكترث ... من جاء نا بفضول القول يحترف

وخلال دراسة هذه الابيات المذكورة اعلاه قد اتضح أن الشيخ حبيب الرحمن العثمانى كان شاعرا بارعا وكان له ذوق خاص للشعر العربى، وقد تجلى فى ابياته براعته ومهارته بكل وضوح، وبعد النظر فى آثاره الشعرية لا يبقى مجال للشك فيما كان يمتاز به الشيخ العثمانى من قدرة فائقة جيدة على قرض الشعر باللغة العربية

فى اسلوب يضاهى اسلوب فحول الشعراء العرب المتقدمين.

واما ما يتعلق بالمديح النبوى للشيخ العثمانى، ففى هذا المجال له ثلاث قصائد، منها قصيدة باسم " دعاء المضطر " قرضها الشيخ حبيب الرحمن العثمانى على منوال قصيدة البردة الميمونة، وفى هذه القصيدة نفس الفصاحة والمتانة والروعة والاصالة اللغوية التى يمتاز بها اسلوب فحول الشعراء من العصر الجاهلى وهذه الجزالة والنصاعة والرصانة فى اسلوبه قد كسبت لهذه القصيدة مكانة رفيعة بين القصائد الاخرى فى المديح النبوى، وتتألف القصيدة من ١٢١ بيتا(٤٢) بدأها الشاعر بقوله:

دعا ودّعا مريم الظباء وأودعا　　بدور الحمى فى الحى رهنا مضيعا
وسمرا وسمارا ولحظا وصبوة　　وربعا خلاء دارس الرسم أقرعا
وهجرا وصرما واصطبارا وسلوة　　دنانا وخمارا وراحا مشعشعا
وحورا وعينا يستلذ عناقها　　وتعرض للتقبيل خدا ممنعا
فكم اندب النفس التى لا أخالها　　تجيب نصيحا او تحاول منزعا

ثم ياخذ الشاعر الطريق الى النبى ﷺ ويمدحه باسلوب رائع جذاب فيقول:

ولى بعد هذا وصلة ووسيلة　　بأكرم خلق الله أتقى وأورعا
نبى الهدى عم الورى بذل جوده　　شفيعا لاهل الارض طرا مشفعا
هو الرحمة المهداة للناس بعدما　　أظل العمى والخير عنهم تقشعا
وكانوا قلوبا ينظر الله فيهم　　بمقت وسخط تائهين تأمعا
فأرسله بالحق والصدق ناطقا　　بشيرا نذيرا داعيا ثم مصدعا
سراجا منيرا يبصر العمى نهجهم　　ويفتح للآذان سمعا تسمعا

ثم يذكر الشاعر بعض صفات النبى الكريم ﷺ الاخرى قائلا:

هو العاقب الماحى و اول قارع　　لابواب خلد مرقيا و مرفعا
وكان نبيا قائد الرسل خاتما　　وآدم بين الماء والطين مودعا

وأولهم خلقا و مجدا و سؤددا وأطيبهم فرعا وأصلا ومطلعا

وأجود من ريح الغداة اذا جرت نسيما يفوح المسك منها تضوعا

أغر جبينا ثم أحلى شمائلا وأجمل وجها ثم ابهى وأبرعا

فالنبى الكريم ﷺ هو العاقب الماحى وأول قارع لأبواب الخلد، وهو قائد الرسل وخاتمهم وهو اولهم خلقا ومجدا وسؤددا و اكثرهم جودا و أغرهم جبينا و أحلا هم شمائلا وما الى ذلك، فهكذايعد الشاعر أوصاف النبى ﷺ وشمائله الخلقية والخلقية، وهذه القصيدة ، لاشك، تحتوى على أسمى معانى الحب العميق وأروعها تجاه النبى الكريم، فلذا لا سبيل للنظر فى أنها من احدى أجمل القصائد فى مدح النبى ﷺ .

وللشيخ حبيب الرحمن العثمانى قصيدة طويلة اخرى فى مدح النبى ﷺ ، و هى معروفة بقصيدة " بائية المعجزات" وهذه القصيدة تحتوى على مائة وثمانية وتسعين بيتا(٤٣) وقد جمع الشيخ العثمانى فيها مائة معجزة للنبى الكريم ﷺ بالاضافة الى ما ذكرها فى قصيدته المعروفة الشهيرة " لامية المعجزات" التى سياتى ذكرها فيما بعد . وهذه القصيدة" بائية المعجزات" تدل على قدرته الفائقة الموفورة على نظم القصائد وتمكنه وتضلعه من اللغة العربية، واسلوب الشاعر فى هذه القصيدة هو اسلوب فحول الشعراء المتقدمين من العرب، وقد استهل الشاعر هذه القصيدة قائلا:

قد كنت أمليت من آياته مائة يزيدك الحب والإيقان والقربا

فالآن لما رأيت الطالبين لها زادوا غراما وراموا فوقها الرتبا

جمعت فى النظم من اعجازه مائة اخرى على ما تراها صفوة نخبا

جواهر نضدت درّ منظمة علق نفيس يريك الدر مخشلبا

أوصى لعثمان لا تخلع اذا سألوا ما قمّص الله من ثوب العلا و حبا

أوصى عليا قتال الناكثين له والقاسطين اذا ما أحدثوا شغبا

واذارأوه يصلى الصبح واستمعوا بذات نخلة قرآنا قضوا عجبا

يـوم بـدر نـعـاس الأمـن ادركهـم مـال الـرؤس بـه فـاستيـقـنوا الغلبا
واذ يـقـلـل جـمـع الـمشـركيـن بـه فـى عيـنهـم ليـظـنـوا الـفتح مقتربـا
وأنـزل الـلـه جـنـدا مـن مـلائـكة مسـوّميـن يـحـزّون الـطـلـى نوبـا

ويقول فيها:

أعـطى السوارين للكسرى اذا غنموا سـراقة الـمـدلـجـى الـمـلتجى عطبا
وعـكة السـمـن لـمـا أهديـت بقيـت تـفيـض سـمـنا وما جفت ولا نضبا
و أوثـق الـجـن اسـرا ثـم أطـلـقـه رعيـا لـمـلك سـلـيـمـان الذى وُهبا
و بـرمة الـلـحـم مـا زالـت تفور بـه الـخبـز يـخبـز لـم ينقص ولا نضبا
وكـــان عيـــن أبـى ذر أصيـب بهـا فـأصبـحـت لا تـراها تشتكى وصبا
وقـــال لـــلبـغـلة الشهبـاء التـزقـى بـالأرض فـالتـزقـت سـمعا لما ندبا
وجـفـنة الـركب جاء وا يحملون بها ليـفـرغ الـمـاء فيهـا اذا وعـا الشجبا
وكـان يـدعـو فـفـارت مـن أصابعـه عيـن تـجيـش فـلـم تترك لهم أربـا
ومـا سـهـا بعد بسط الثوب حين دعا أبـو هـريـرة فـى شئ ولا اضطربا
ومـصـعـب اذ قـضى أعلى اللواء له فـى زيّـــه مـلك يـدعـى بـه لـقبـا

بـعـد قـراء ـة هـذه الـقـصيـدة ، لا يبقى مجال للشك فى انها ، ايضا، من احدى الـقـصـائـد الـرائـعة الجميلة فى المديح النبوى، وذلك لأنها تشتمل على معانى الحب السـامية الـرفيـعة، وتـمتاز باسلوب فصيح جزل ناصع رصين، فأبياتها كاللولؤ التى نشرت على الاوراق وكلماتها كالدرر الثمينة التى نظمت فى سلك .

ومـن أشهـر قـصـائـد الشيـخ الـعثـمانى وأروعها قصيدته المعروفة بـ " لامية الـمـعـجـزات" وقد جمع فيها الشاعر مائة معجزة للنبى الكريم ﷺ مقتبسة من كتب الأحـاديـث الـنبـويةالـمـخـتـلـفة، وقـد قـام بتجميل هذه القصيدة الرائعة عقد الكلمات وسـلاسة الـلسـان ورعـاية الـفـصـاحة والبـلاغة وغيـرهـا من المحـاسن اللغوية، وبـالأخـص ذكـر معجزات النبى الكريم ﷺ قد أكثرها قيمة وحسنا، وهذه القصيدة مـن أطـول قـصائد الشيخ حبيب الرحمن العثمانى التى تحتوى على مائتين واربعة و

خمسين بيتا(٤٤) يقول الدكتور زبير احمد الفاروقى فى كتابه " مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الادب العربى" وهو يسلط الضوء على هذه القصيدة:

" وأطول قصيدة فى هذا الموضوع هى ما يعرف بلامية المعجزات أو مائة معجزة للشيخ حبيب الرحمن العثمانى تشتمل على ٣٨٥ بيتا(٤٥) خصص أبياتها الاولى لخطاب النفس وتنبيهها على غفلاتها ثم وصف بعض الشمائل النبوية وما كان حال الدنيا قبل مبعثه وما آل اليه بعد البعثة النبوية، وفى ١٩٠ شعرا بيّن معجزات الرسول بالتفصيل وقسمها الى ١٧ قسما واختتم القصيدة بـ ١٢ شعرا حث فيها على حفظ معجزاته ﷺ ، ومما لا شك فيه أن هذه القصيدة الطويلة هى أكبر دليل على ما كان لديه من قدرة غير عادية لنظم الشعر والتنوع فى المضامين باسلوب يمتاز بسهولة البيان وفصاحة اللسان "-(٤٦)

يبدأ الشاعر هذه القصيدة بخطاب النفس وتنبيهها على غفلاتها وتورطها فى ورطات الغواية و غمراتها و ايقاظها عن عماياتها قائلا:

ايها المختال فى ثوب الأمل والمباهى بطراز فى الحلل
والمجارى فى ميادين الخلا قد دنت منك مرارات الأجل
انت فى تيه العمى تبغى المُنى والمنايا كشّرت ناب الوجل
انت فى لهو و زهو تجتنى من ثمار موبقات من أكل

ثم يستطرد الشاعر الى الالتجاء الى باب سيد الكونين شفيع المذنبين ملجأ المكروبين سيدنا محمد ﷺ والتوسل به قائلا:

ما له من ملجأ او موئل غير باب السيد المولى الاجل
سيد السادات فخرالانبيا مكمل التوحيد محّاء الملل

ثم يذكر بعض شمائل النبى الكريم ﷺ ومناقبه واوصافه وكمالاته:

سيد الكونين مصباح الدجى اول المخلوق فى علم الازل
وجهه كالبدر او شمس الضحى صدره مشكوة انوار الرسل

ثم يذكر حال الدنيا قبل مبعث النبى الكريمﷺ وما فيه افرادها من عموم الضلال وشمول المقت والسخط، ثم بعد ذلك يتطرق الى ذكر معجزات النبى الكريم ﷺ ويفصلها تفصيلا، فيذكر معجزاته فى ملكوت السماوات من انشقاق القمرو رد الشمس ووقوفها قائلا:

وعلى ايماء ه انشق القمر شاهَدوا ما بين فِرقَيه الجبل
رُدت الشمس وكانت قد هوت فأجابت اذ دعاها تقتبل

ثم يذكر الشاعر بالتفصيل معجزات النبىﷺ فى الجمادات والحيوانات وتكلم الحيوانات وشهادتها بالرسالة والتبليغ و فى احياء الموتى وفى عدم احراق النار وفى اضاء ة السوط والعصا والاصابع واستنارةالوجه وغيرها ومعجزاتهﷺ فى حفظه عن كيد الكفار وايذائهم قبل الهجرة وفى طريق الهجرة وبعد الهجرة فيقول:

سبّح الله بأيديه الحصى فوعاه مَن هناك و عقل
سلمت أحجار واد اذ رأت يا نبى الله قالت تستهل
تسرع البدن تحب كلها أن يُضَحّى اولا او يُعتقل
واستغاثت ظبية قد شدها حابل رام اقتناصا فاحتبل
يا نبى الله أطلقنى أعد بعد إرضاء لخشف منخزل
حنّ جذع النخل اذ حل به من مصاب الهجر حزن و خيل
ضمه بالصدر فاستسلى به كصبى بلبان يُشتغل
كم أتى من أن نارا أُجّجت لصحابة تصلى او تمل
لم تؤثر بل وصارت روضة ذات برد و سلام و أكل
وانتدوا للمكر فارتاء ت له ثلة من كل مقدام بطل
أُعمِيت ابصارهم لما أتوا غار ثور فى شقاء و دغل

وفى هذا الاسلوب يتدرج الشاعر و يذكر معجزات النبىﷺ الاخرى مثل

معجزاته فى ركانة الذى لم يظهر احد عليه فى المصارعة ومعجزاته فى من كان يوذيه ومعجزاته فى ابراء المرضى و ذوى العاهات و معجزاته فى بركة الطعام والشراب و معجزاته فى اجابة دعائه ﷺ وفى اخبار الغيوب والكوائن بعده، فيقول:

وركانة أتى حربا له ... ما لمرء فى صراعه قبل
وامتلأ رعبا ابو جهل به ... و قضى مستعجلا دين الإبل
وذوو العاهات أبرا جمعهم ... اذ دعا أو مس عضوا قد بطل
واغتذوا يوما ثريد قصعةٍ ... من لدن صبح الى ظهر وصل
واليهود اذ دعا تجميله ... صين كلحا وجهه وهو حمل
كم غيوبا بعده أنبا بها ... تحتوى البشرى و أنباء الوهل

ثم فى نهاية القصيدة يحث الشاعر على حفظ المعجزات المذكورة فى القصيدة و يطلب الدعاء ويصلى ويسلم على خير البرية الرسول الكريم ﷺ فيقول:

هذه آياته أمليتها ... من ألوف المعجزات انتخل
مائة خذ ها و إما ان تُرد ... ان تزيد فانظر الكتب تنل
خذ و علقها و أتقن حفظها ... تالى عند الغدو والأصل
وصلوٰة الله اذكاها شذىً ... ثم أنماها نماء متصل
أو سرى فى الليل بدر طالع ... او بدا نجم لأبناء السبل
او يناجى الله عبد خاضع ... او دعا لله داع وابتهل
تنزل دوما على خير الورى ... مبدأ الكل غياث المرتمل

لا شك أن هذه القصيدة تدل دلالة واضحة على سمو مكانة الشيخ العثمانى وعلو مرتبته بين الشعراء الهنود الذين قاموا بانشاد القصائد فى المديح النبوى، وتجعله فريدا ممتازا فيهم لحسنها وجمالها وسبك اسلوبها وروعة تعبيراتها، وهذه القصيدة الغراء ايضاء مثل قصائد الشيخ العثمانى الاخرى فى المديح النبوى، لخير

دليل على تضلعه من قرض الشعر و تمكنه الوافر وقدرته الفائقة على اللغة العربية و اساليبها المتنوعة و تعبيراتها الجيدة المختلفة، واستخدام الكلمات الملائمة والمفردات المناسبة حسب اقتضاء المضامين .

ومن درس هذه القصائد الثلاث للشيخ حبيب الرحمن العثمانى فى مدح خير الأنام محمد الرسول الكريم ﷺ، وغاص فى رصانة اساليبها وتذوق جزالة عبارتها ودقة تعبيراتها ونصاعة الفاظها سوف يضطر الى ان يقول ان صاحب هذه القصائد يستحق ان يعد من الشعراء الهنود الفحول الذين يضارعون الشعراء العرب فى نظم الأبيات وإنشاد القصائد .

الفصل الرابع

العلامة انور شاه الكشميرى

هو العلامة محمد انور شاه بن معظم شاه الحسينى الحنفى من العباقرة القلائل الذين أنجبتهم دارالعلوم بديوبند، ولد فى سنة ١٨٧٥م بقرية ودوان بكشمير فى أسرة علمية كريمة انحدرت من بغداد الى ملتان و من ملتان الى لاهور و من لاهور الى كشمير واستوطنتها(٤٧) وكان والده الشيخ محمد معظم شاه من العلماء الربانيين والزهاد وكان له مكانة كريمة لدى الناس و كان مرجعهم فى مسائل دينية فى تلك المنطقة، وكانت والدته تعيش حياة تتميز بالورع والصلاح والزهد والعبادة ففى احضانها نشأ وترعرع العلامة انور شاه .

بدأ العلامة تعليمه بقراء ة القرآن الكريم وبقراء ة الكتب البدائية من العربية والفارسية على والده الشيخ محمد معظم شاه، ثم درس العلوم المتداولة من الفقه والاصول والمنطق وغيرها من الصرف والنحو، وقضى عامين فى هذه الدراسة، ثم سافر الى مديرية هزارة فى بشاور وتلمذ على علماء عصره فيها وأخذ منهم العلوم العربية والاسلامية والمنطق والهيئة، ولكنه ما زال ينعطش لمزيد من العلم، فوصل به هذا العطش والتلهف الى دارالعلوم بديوبند فى سنة ١٨٩٢م ، وكان عمره فى ذلك الوقت لم يتجاوز الثامنة عشر، وتعلم هناك على كبار علماء عصره من الاساتذة المبرزين فى العلم والتقوى مثل الشيخ محمود الحسن و رشيد احمد الكنكوهى .

وبعد إتمام دراسته فى دارالعلوم بديوبند، سافر الى دهلى وتولى منصب التدريس فى المدرسة الأمينية بدهلى، وظل هناك اربع سنوات تقريبا، ثم ثار فى قلبه الحنين الى زيارة وطنه وذويه فعاد اليه وأقام مدرسة سماها ''فيض عام'' وأمضى فيها ثلاث سنوات، ثم توجه الى الحجاز فى ١٩٠٥م وزار كلا من طرابلس والبصرة وسوريا ومصر، وسنحت له الفرصة أثناء تلك الزيارة لمقابلة العلماء البارزين

والاستمتاع بالمكتبات الزاخرة فى تلك البلاد، ثم عاد الى وطنه كشمير ومنها قصد زيارة الشيخ محمود الحسن بديو بند، و ولى التدريس فى دارالعلوم ـ

ما زال العلامة يدرس الكتب الرئيسية للحديث النبوى مثل الصحيح البخارى وسنن الترمذى لفترة طويلة، وعندما أراد شيخ الهند محمود الحسن ان يسافر الى الحجاز نظرا لأمر الحكم الانكليزى باعتقاله بناء على مساهماته الفعالة فى حركة التحرير الوطنى ولّاه منصب رئيس الاساتذة فى دارالعلوم، فلم يزل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٢٦م، وظل عاكفا على الدرس والافادة حتى حدث الخلاف بينه وبين المسئولين فى بعض الامور الادارية فى دارالعلوم، فغادر ديوبند وتوجه الى جامعة دابهيل بولاية غجرات وبقى هناك يدرس علم الحديث، وفى سنة ١٩٣٢م أصيب الشيخ انور شاه بداء البواسير وانحرفت صحته، فعاد الى ديوبند، وعندما أفاق منه أراد العودة الى دابهيل فلم يتمكن من ذلك لضعفه الشديد، وظل يقاوم المرض حتى عام ١٩٣٣م حيث وافته المنية وانتقل الى رحمة الله ـ(٤٨)

لقد كان العلامة انور شاه آية من آيات الله العظيمة ونادرة من نوادر عصره و اماما فى الحقائق والمعارف فى التفسير والحديث، وكان فى عصره فى مرتبة الامام الغزالى والامام الرازى وابن تيمية والحافظ ابن حجر العسقلانى، وكان درة متلالئة فى عقد هولاء الائمة وذلك لسبب ذاكرته القوية الذكية وتبحره العلمى العميق، لقد ذكر العلامة السيد سليمان الندوى فى كتابه ''ياد رفتگاں'' تبحره العلمى ومستواه الرفيع الاعلى فى مختلف العلوم والفنون قائلا:

'' كان رحمه الله تعالى عالما صموتا لكن واسع الاطلاع، وكان كالبحر الذى أعلاه ساكت ولكن اسفله ملئ بالخزائن الثمينة، وكان عالما لا مثيل له فى هذا العصر فى سعة الاطلاع وقوة الحفظ وكثرته و كان حافظا لعلوم الحديث دقيق النظر فيها، وكان متضلعا من العلوم الادبية، بارعا فى المعقولات راسخ القدم فى الشعر وكاملا فى الزهد و التقوى''ـ(٤٩)

وعندما زار السيد رشيد رضا العالم الشهير فى مصر، ديوبند ولقى السيد انور شاه، قال،" ما رأيت مثل هذا الاستاذ الجليل"۔(٥٠)

وكل هذا يدل على نبوغ الشيخ انور شاه فى مختلف العلوم والفنون، وأما ما يتعلق بانتاجاته العلمية والادبية باللغة العربية فالشيخ انور شاه يتميز عن غيره فيها باسلوبه العربى الكلاسيكى الخالص فى النثر والنظم، ومن مؤلفاته:

"مشكلات القرآن" و" فيض البارى شرح صحيح البخارى" و" فصل الخطاب فى مسألة أم الكتاب" و" نيل الفرقدين فى مسألة رفع اليدين" و "بسط اليدين لنيل الفرقدين" و "كشف الستر عن صلوٰة الوتر" و "عقيدة الاسلام فى حياة عيسى عليه السلام" و" تحية الاسلام فى حياة عيسى عليه السلام" و" التصريح بما تواتر فى نزول المسيح" و "ضرب الخاتم على حدوث العالم" و" اكفار الملحدين فى ضروريات الدين" و" سهم الغيب فى كيد اهل الريب" وغيرها۔

شعره: لقد كان العلامة انور شاه الكشميرى شاعرا كبيرا عظيما من شعراء الفارسية والعربية، وكان له ذوق لطيف صالح للشعر، وكان يقرض الابيات تستمع اليها الآذان و تستحسنها الفطرة البشرية السليمة، وكان بارعا فى سبك الابيات و صياغتها بكمال الدقة وجمال التعبير مع الروعة البيانية، وقد بلغت أشعاره ما يزيد على عشرة آلاف بيت كما كان يحفظ كثيرا من الاشعار والقصائد اذ انه حفظ ما يقرب من مآت الآلاف من شعر كبار الشعراء، و أما اشعاره فى العربية فهى على قول الدكتور محمد رضوان الله تبلغ الى ألف ومائة وخمسة وخمسين(١١٥٥) بيتا(٥١) وله اشعار كثيرة منها فى شتى العلم و رسالة منظومة فى مسألة وجود الصانع الحكيم وحدوث العالم من علم التوحيد والكلام، وفى ضوابط الفقه الحنفى على نحو الاراجيز، وفى بعض معارف الحديث، وفى الحكم والامثال والحقائق والرثاء لبعض الشيوخ والمديح لبعض أماثل المعاصرين، وله قصيدتان فى المديح النبوى ۔

وقبل أن ابدأ الكلام فى القصيدتين له فى مدح النبى الكريم ﷺ، يحلو لى

ان انـقل هنا بعض الابيات التى قالها الشيخ فى مناسبات مختلفة لكى يظهر ما كان له من قدرة بيانية و يبرز امتلاكه ناصية الشعر وتضلعه من اللغة العربية .

قـد قـرض الـعـلامة قـصيـدة طـويلة تحت عنوان" ضرب الخاتم على حدوث الـعـالـم" وهـى اطول قصيدة نظمها العلامة انور شاه، فتحتوى على أربع مائة بيت، أتى فيها بدلائل حديثة وبراهين فلسفية لإثبات حدوث العالم ووجود الصانع الحكيم فيقول فيها:(٥٢)

ومـاض قديم يات من غير حاضر ومستـقبـل با لطبع لـم يقف انتهى
فـمـنـه استـحـالت للورى ازليـه وبـعـد حـدوث فـالـدوام قد انبغى
ووضـع حـديث مع قديم كما ترى بـمعناه يقضى ان هنا موطن خلا

ولـه قـصيـدة اخـرى تـحـت عـنـوان " غدارة اليونان وبريطانيا" تشتمل على ثمانية و اربعين بيتا بالاضافة الى ١١ بيتا فى وحدة الله، وفيما يلى ابيات مختارة من هذه القصيدة:(٥٣)

او مـا تـرى لـمـا عدت عن طورها غـدارـة اليـونـان والبرطـانـى
حتـى غدوا لا يـومـنـون لـربهـم وتـنـصـلّـوا مـن خـلـقة الانسـان
فـازداد شـرّ فـى البسيطة منهم مـا كـان يـحـكـى منذ جنكيز خان
او مـا تـرقـرق عينهـم أو قلبهم مـن رحـمة الـصبيـان والنسوان
فـاستـدرجـوا حتى تفارط أمرهم فـى الـغـى والـطغيـان والعدوان

وقال فى وحدة الله:

ومـن الـصـفـات حياتـه وبقـاء ه ومـن الـخصائص كيف يشتركان
أحـد فـلـم يك غيره فى غـابـر صـمـد بـقـى بـالملك والسلطـان
صـفة لـه خـلـق كـذلك وحـدة كـصـفـاتـه الـعـظـمى فلا يقفـان

واضـافة الـى ذلك، فـقـد قـرض قصيدة وخاطب فيها الأمة المحمدية و خاصة الـعـلـمـاء مستـدعيـا، وقد أتى فيها بدلائل فى رد المرزا غلام احمد القاديانى وادعاء ه

وكفره، وتحتوى هذه القصيدة على سبعين بيتا(٥٤) ومن ابياتها:

ألا يـا عبـاد اللـه قـومـوا و قوّموا　　خـطـوبـا ألـمّت مـا لهـن يـدان

وقـد كـان يـنـقـض الهـدى ومنـاره　　وزحـزح خيـر مـا لـذلك تـدان

يُسبّ رسـول من اولى العزم فيكم　　تـكـاد السمـاء والارض تـنفطران

وحـارب قـوم ربَّـه ونبيَّـه　　فـقـومـوا لـنـصـراللـه اذ هـو دان

واما ما يتعلق بالمدح، فقد أنشد الشيخ انور قصيدة مدح فيها الشيخ رشيد احمد الكنكوهى، وهذه القصيدة تحتوى على ثلاثين بيتا(٥٥) ومنها:

قـفـا يـا صـاحبي عن السفـار　　بـمـرأى مـن عـرار او بهـار

يسير بنشرها نفحات انس　　و ريّا عند محى من قطار

يفيض لروحها رشحات قدس　　حيـاة لـلبرارى والـقـفـار

وقد عادت صباها من رُباها　　بأنفاس يطيب بها الصحارى

أطيب لنشره نفسا و نفسا　　فـاروى مـن روايـات الـكبار

امـام قـدوة عـدل امين　　و نـور مستبين كـالنهـار

كـأن جبينـه بـدر مبين　　تهـلـل نـوره عـنـد الـزوار

وله قصيدة اخرى فى محامد محمد قاسم النانوتوى و مآثره ، وهو مؤسس دارالعلوم بديوبند، و تحتوى هذه القصيدة على ٢٢ بيتا، بدأها بذكر الديار والرباع والدوارس والهجر، ثم يعطف عنان القلم الى ممدوحه، ومما يجدر بذكره ان ابيات هذه القصيدة كالماء الزلال تروى العاطفة والذوق الادبى، فيقول فيها:

قـفـا يـا صـاحبي على الديار　　فـمن دأب الشجي هو ازديار

و عـوجـا بـالـرباع رباع انس　　فـفى المرأى لشئ كاصطبار

و ذلك قـاسـم الـخيرات طرا　　يسيـر بـذكـره تـال وقـار

امـام حـافـظ سـنـد هـمـام　　لسـان الـحق مـقدار الكبار

اذا مـا جـاء ه احـد مـريـدا　　تهـلـل بـالغوادي والسوارى

فـأضحـى كعبة للعاكفين ومأوى الطائفين بلا ممار

وأما ما يتعلق بالرثاء، فله ثلاث مراثى على وفيات بعض العلماء، ومنها مرثية طويلة تحتوى على ٤٧ بيتاقالها الشيخ انورشاه على وفاة الشيخ محمود حسن المعروف بـ شيخ الهند، ومنها:(٥٦)

قفا نبك من ذكرى مزار فندمعا مصيفا و مشتا ثم مرأى ومسمعا
قد احتفّه الالطاف عطفا و عطفة وبورك فيه مربعا ثم مربعا
وان كان مما ليس يشفى و يشتفى بشئ ولكن خل عينيك تدمعا
نهضت لأرثى عالما ثم عالما حديثا و فقها ثم ما شئت اجمعا
ومولى الورى محمودهم و حميدهم ومسندهم فيما روى ثم اسمعا
سقى الله مثواه كرامة ريعه و كان غدا لى شافعا و مشفعا

وله مرثية اخرى تحتوى على ٢٤ بيتا قالها فى وفاة الشيخ عبدالباقر خان، و من ابياتها:

ودار خيار ودعوها وأوضعوا و ابكوا دموعا لا تزال تشيع
و هل للمزايا من يحيّى رسومها و هل للمعالى بعدهم متطلع
و لما قضى نحبا حسبت رحيلة بمغفرة أوب و لله مرجع

وكذلك له مرثية اخرى على وفاة الشيخ عبدالرحيم الراى بورى، تشتمل على تسعة و ثلاثين بيتا، ومنها:

أمما دهاك الامر تذرى وتدمع وهل فى بكى من مفزع لك مفزع
وقدعيل صبرى كيف والجزع ميتا اذا فاته ذكر يحن و يجزع
ومن ثم مثل الشيخ يهدى و يهتدى ومولى الورى عبدالرحيم فاقنع
ولما حسبت العام عند رحيله فجاء دعاء يستجاب ويسمع
سقى الله مثواه بارعى كرامة فسقى ورعى منه أولى و أنفع

وبعد عرض هذه النماذج الشعرية للشيخ انور شاه الكشميرى، التى تدل على قدرته الفائقة وملكته الفذة فى قرض الابيات، آتى الى موضوعى، وهو، لاشك فيه،

المديح النبوى للشيخ انور شاه، ففى هذا الصدد، توجد له قصيدتان فى مدح الرسول ﷺ، أما قصيدته الدالية فى الموضوع فهى قصيدة غراء محكمة النسج، بديعة التعبير، رشيقة الالفاظ وبديعة المعانى، وهذا لأن الشيخ انور ولد فى بيت العلم والشعر، فكان والده مولانا معظم شاه ، وأخوانه الثلاثة محمد يا سين شاه وسيف الله شاه و عبدالله شاه من الشعراء المجيدين فى الفارسية، فكان الشعر خلط بلحمه وسيط بدمه نشأ فى مهد الشعر، ثم ارتوى بلبانه فصار الشعر طبيعته الثانية .

وهذه القصيدة الدالية تشتمل على سبعة و اربعين بيتا، وقد بدأها الشاعر بذكر عهد الحمى والنسيم والربى والصبا والظباء والبكاء والدموع والهجر والتلول وغيرها، فيقول:(٥٧)

برق تألق موهنا بالوادى ... فاعتاد قلبى طائف الأنجاد
أسفا على عهد الحمى و عهاده ... تولى على الابراق والارعاد
هب النسيم على الربى فتضاحكت ... بشرى العميد عرارها والجاد
لعبت صباها والشمال و تارة ... لعب الغصون بعطفها الميّاد
سنح الظباء فكاد يهلك مغرم ... حور العيون و عطفة الأجياد
و أكاد أشرق بالدموع اذا بدا ... هجر فتبكى الورق بالاسعاد
أسقى التلول واستحث ركائبى ... وجدا على التاويب والآساد

وبعد هذه المقدمة المشتملة على ذكر النسيم والصبا والظباء والتاويب والتاويه، يتطرق الشاعر الى ذكر النبى ﷺ و يعد بعض صفاته قائلا:

انا فى أمان من دآدى حيرة ... ولى اهتداء بالنبى الهادى
شمس الضحى بدر الدجى صدر العلى ... علم الهدى هو قدوة للقادى
مولى الورى وبشيرهم وشفيعهم ... وخطيبهم فى مشهد الأشهاد
سهل العريكة أكرم العرب الألى ... خير العباد و خيرة العبّاد
ختم النبوة والرسالة انها ... بدئت به ختمت به لمعاد

العاقب الماهى وأكثر تابعا والقاسم المبعوث للارشاد

والاصدق الأمى أفصح لهجة ممن تكلم باللسان الضاد

ثم يصف الشاعر النبى الكريم ﷺ بأوصافه الخلقية والخلقية، وبعد ذكر هذه الاوصاف يتطرق الى ذكر تلك الاحوال والظروف الاجتماعية والدينية التى طارت على الدنيا حين بعثة الرسول الكريم ﷺ، فيقول:

قد جاء والدنيا على ظلماتها والجهل والبؤسى على اعتاد

فأضاء كالبدر المنير و وجهه نور مبين فى ظلام دآدى

فتحت به غلف القلوب و بصرت عمى العيون بسنة وسداد

قد أيد التقوى وشيّد امرها بقواعد التاييد ذات عماد

ثم يقول:

وبوجهه تستنزل البركات من فوق السماء فأيده بأياد

وبه النجاة وعصمة من أزمة وبه حياة طيبة لبلاد

فلخير هدى هديه و لدينه دين الاله علا لدى الاسناد

فالبركات والنجاة والعصمة من الأزمة والحياة الطيبة معقودة ناصيتها بالشريعة التى جاء بها النبى الكريم ﷺ، وأن هدى النبى ﷺ خير هدى ودينه خير الأديان.

ثم يذكر الشاعر اصحاب النبى ﷺ من المهاجرين والانصار و يعد مناقبهم و أوصافهم الطاهرة و شمائلهم و شيمهم البارة، ويذكر الذين جاؤوا من بعدهم من الصلحاء والتابعين، فيقول:

قامت به غر الوجوه عصابة شم الأنوف وصفوة الأعضاد

كانوا من الأبرار والأطهار والـ أخيار والانصار والأنجاد

ثم اهتدى بمنارهم سعدائهم سعدوا وكانوا وفقوا لرشاد

ثم على هذا النمط تنتهى هذه القصيدة الغراء:

هذا ولا يبقى سوى الملك القدي م وكل شئ رائح او غاد

قف نبك اطلالا وهت اركانها أخنى عليها الدهر بالمرصاد

يا ربما أرثى الطلول فما هنا داع ولا متسمع انشادى

سبحان من صرف الأمور وما أتت غير عليه على مدى الآباد

ثم الصلوٰة مع السلام على النبى وآله مع صحبه الأمجاد

وهكذا تنتهى القصيدة على اسلوب رائع جذاب، والقصيدة بنفسها تعبر عما كان لها ميزة خاصة ومكانة مرموقة فى حسن السبك والنسيج وبديع الانسجام والصياغة ونصاعة الالفاظ وفصاحة الكلمات وبلاغة الاسلوب، والشاعر يتجنب فى هذه القصيدة عن التعقيدات اللفظية والمعنوية كذلك، وعن التعبيرات الغريبة والالفاظ الركيكة، ولذا يوجد فيها انسجام وصوغ فى تراكيبها و تعبيراتها، وايضا تتضح ميزات هذه القصيدة اللفظية والمعنوية بكلام الدكتور صدرالحسن الندوى حيث يقول فى مبحث هذه القصيدة:

" هذه قصيدة عصماء فريدة، نرى فيها نصاعة لفظ الجاهلية والعرب العرباء وحلاوة انسجام الشعراء الاسلاميين و حسن نسيج النابغين فى قرض الابيات، القصيدة تبدى لنا صورة واضحة للأهداف النبيلة والاغراض الهادفة البنّاء ة التى لأجلها خاض الشاعر هذا المضمار و غاص فى بحور الابيات لينثر لآلى بين يدى القارى، قافية القصيدة و رويها لهما تاثير خاص فى ايقاع أوتار القلوب وتفتيق القريحة وإيقاظ الشعور و ترقيق الوجدان و تصفية الخيال.

يبدو أن الشاعر قد نظم لؤلؤا وحاك ديباجا ونسج حريرا و قدم لنا باقة الازهار الانيقة الجميلة من خصائص الرسولﷺ وميزاته و اعماله واخلاقه وتضحياته بالتلميح الى الشمائل النبوية بأنقى تعبير وأوفى تحبير، وهذه القصيدة تسكن الاكباد الهائمة المقروحة المتعطشة و تزكى لوعة الحب والغرام ويربى أسس الحياة التى لا يمكن أن تحيى الامة الاسلامية بدونها فى عزة و سعادة".(٥٨)

وللشيخ انور شاه قصيدة اخرى في المديح النبوى تحتوى على أربعة و

عشرين بيتا، وقد نظم العلامة الكشميرى هذه القصيدة على وزن شعر شهير للشيخ السعدىّ الشاعر المعروف فى الفارسية، و عدّ فيها أسماء النبى الكريمﷺ ناخبا من كتب السير وغيرها، ومن أبيات هذه القصيدة:(٥٩)

شفيع مطاع نبى كريم قسيم جسيم نسيم وسيم

صبيح مليح مطيب التميم مفاض الجبين كبدر مبين

غياث الورى مستغاث الهضيم أحيد وحيد مجيد حميد

و خير البرايا بفضل جسيم و عز عزيز حياة قويم

و أسرى به ربه فى السماء كنور تجلى بليل بهيم

وهذه القصيدة ايضا، تدل على حب الشيخ الانور وغرامه العميق تجاه النبى الكريمﷺ، ولم يتطرق الشاعر فيها الى التشبيب والغزل وغيره بل بدأها مباشرة بذكر النبى الكريمﷺ وأسماء ه المقدسة، ولا يوجد فيها كلمات ثقيلة و تعبيرات غريبة، وهذا لأن الشيخ انور كان ماهرا فى سبك الابيات و صياغتها بكمال الدقة و جمال التعبير مع الروعة البيانية، و لأن اكثر الفاظ هذه القصيدة مشتملة على أسماء النبى الكريمﷺ المقدسة المباركة .

و هاتان القصيدتان، وبالأخص القصيدة الدالية تجدر بأن توضع بين تلك القصائد البديعة التى قرضها شعراء الهند الكبار من المتقدمين والمتأخرين سواء، دفعا لضريبة الحب والوفاء والحنان للنبى الكريمﷺ .

الهوامش

(١) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الادب العربى:الدكتور زبير احمد الفاروقى، ص٨٩

(٢) القاضى عبدالمقتدر الدهلوى بصفته شاعرا عربيا: مقالة عربية للبروفيسور عبد العلى

(٣) عربى ادب ميں هندوستان كا حصه: شمس تبريز خان، ص١٩٦

(٤) The Contribution of India to Arabic Literature: Zubaid Ahmad, 206

(٥) هند و پاك ميں عربى ادب: اقبال احمد سلفى،ص٢٠ ـو القصيدة الدالية للشيخ احمد التهانيسرى: بضبط و شرح العلامة امتياز على عرشى، مجلة البعث الاسلامى، ديسمبر ١٩٨٨م

(٦) الثقافة الاسلامية فى الهند: الشيخ عبدالحى الحسنى، ص٤٦

(٧) أطيب النغم فى مدح سيد العرب والعجم: الشاه ولى الله الدهلوى، ص٢٩ ـ ٤١

(٨) المصدر السابق: ص٣ ـ٢٨

(٩) هند و پاك ميں عربى ادب: اقبال احمد سلفى،ص٤١ ـ و المدائح النبوية فى الهند: الدكتور محمد صدرالحسن الندوى، ص١٩٣ ـ و ـ نزهة الخواطر: الشيخ عبدالحى الحسنى، ج٦، ص٢٠٥

(١٠) هند و پاك ميں عربى ادب: اقبال احمد سلفى،ص٤٢

(١١) الثقافة الاسلامية فى الهند: الشيخ عبدالحى الحسنى، ص٤٥

(١٢) المصدر السابق: ص٤٦

(١٣) المصدر السابق: ص٤٧

(١٤) آثار الصناديد: سر سيد احمد خان، الجزء الثانى، ص٧٦

(١٥) المدائح النبوية فى الهند: الدكتور محمد صدرالحسن الندوى، ص٢٠٩ ـ ٢١١

(١٦) المصدر السابق: ص٢١٢ ـو الثقافة الاسلامية فى الهند: الشيخ عبدالحى الحسنى، ص٤٧

(١٧) باغى هندوستان: علامة فضل حق خيرآبادى، ص٦٦

(١٨) نزهة الخواطر:الشيخ عبدالحى الحسنى، ج٧، ص٣٧٠

(١٩) المصدر السابق: ص٣٧٠

(٢٠) باغى هندوستان: علامة فضل حق خيرآبادى، ص٩٨

(٢١) الثقافة الاسلامية فى الهند: الشيخ عبدالحى الحسنى، ص٤٨

(٢٢) باغى هندوستان: علامة فضل حق خيرآبادى، ص٩٦

(٢٣) المصدر السابق: ص٩٧

(٢٤) نزهة الخواطر: الشيخ عبدالحى الحسنى، ج٧، ص٣٧٥

(٢٥) آثار الصناديد: سر سيد احمد خان، الجزء الثانى، ص٩٢

(٢٦) باغی هندوستان: علامة فضل حق خیرآبادی، ص٢٩٩

(٢٧) و هی ملکة وکتوریة

(٢٨) باغی هندوستان: علامة فضل حق خیرآبادی، ص٣١٧

(٢٩) المصدر السابق: ص٢٩٥

(٣٠) المصدر السابق: ص٩٥-٩٦

(٣١) آثار الصنادید: سر سید احمد خان، الجزء الثانی، ص٩٨

(٣٢) المدائح النبویة فی الهند: الدکتور محمد صدرالحسن الندوی، ص٢٥٥

(٣٣) آثار الصنادید: سر سید احمد خان، الجزء الثانی، ص١٠٥

(٣٤) یراجع للاستزادة: تاریخ دارالعلوم دیوبند: سید محبوب رضوی، ج٢، ص٢٣٣ ـو ـ اکابر علماء دیوبند: حافظ محمد اکبر شاه بخاری، ص٩٤

(٣٥) تاریخ دارالعلوم دیوبند: سید محبوب رضوی، ج٢، ص٢٣٥ ـو ـ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص٢٣٢

(٣٦) مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص٩٥

(٣٧) معین اللبیب فی جمع قصائد الحبیب: الشیخ حبیب الرحمن العثمانی، ص٤٦ ـ٤٧ ـ و ـ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص١٢١

(٣٨) معین اللبیب فی جمع قصائد الحبیب: الشیخ حبیب الرحمن العثمانی، ص٦٣ ـ٦٦ ـ و ـ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص١٤٩

(٣٩) معین اللبیب فی جمع قصائد الحبیب: الشیخ حبیب الرحمن العثمانی، ص٤٠ ـ٤٥ ـ و ـ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص١٣٥

(٤٠) معین اللبیب فی جمع قصائد الحبیب: الشیخ حبیب الرحمن العثمانی، ص٣٨ ـ٤٠ ـ و ـ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص١٣٥

(٤١) معین اللبیب فی جمع قصائد الحبیب: الشیخ حبیب الرحمن العثمانی، ص٧١-٧٢

(٤٢) معین اللبیب فی جمع قصائد الحبیب: الشیخ حبیب الرحمن العثمانی، ص١-٧ ـ و ـ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص٩٤ ـو ـ المدائح النبویة فی الهند: الدکتور محمد صدرالحسن الندوی، ص٣٤٦

(٤٣) معین اللبیب فی جمع قصائد الحبیب: الشیخ حبیب الرحمن العثمانی، ص٢٣ ـو ـ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی:الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص٩٩ ـو ـ المدائح النبویة فی الهند: الدکتور محمد صدرالحسن الندوی، ص٣٤٩

(٤٤) قصیدة لامیة المعجزات: الشیخ حبیب الرحمن العثمانی، بترجمة و شرح الشیخ اعزاز علی باسم "البینات" ص٩١

(٤٥) لعله هو خطأ الكاتب، فالقصيدة تحتوى على ٢٥٤ بيتا، لا على ٣٨٥ بيتا

(٤٦) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الادب العربى:الدكتور زبير احمد الفاروقى، ص٩٨

(٤٧) اكابر علماء ديوبند: حافظ محمد اكبر شاه بخارى، ص٩٥

(٤٨) مولانا انور شاه كشميرى حيات اور علمى كارنامے: قارى محمد رضوان الله، ص٥٧-٥٨ .و. مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الادب العربى:الدكتور زبير احمد الفاروقى، ص٢٤٣ .و. المدائح النبوية فى الهند: الدكتور محمد صدرالحسن الندوى، ص٤٦٠ .و. اكابر علماء ديوبند: حافظ محمد اكبر شاه بخارى، ص٩٦-٩٧

(٤٩) ياد رفتگاں: علامه سيد سليمان ندوى، ص١٤٦

(٥٠) تاريخ دارالعلوم ديوبند: سيد محبوب رضوى، ج٢، ص٧٥

(٥١) مولانا انور شاه كشميرى حيات اور علمى كارنامے: قارى محمد رضوان الله، ص٨٥ .و. هند و پاك ميں عربى ادب: اقبال احمد سلفى،ص٩٦

(٥٢) مولانا انور شاه كشميرى حيات اور علمى كارنامے: قارى محمد رضوان الله، ص٨٦

(٥٣) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الادب العربى:الدكتور زبير احمد الفاروقى، ص١٣٧

(٥٤) الأنور، شيخ الحديث حضرت علامه محمد انور شاه كشميرى كى سوانح حيات اور كمالات و تجليات: عبدالرحمن كوندو، ص ٦٤٩

(٥٥) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الادب العربى:الدكتور زبير احمد الفاروقى، ص١١٦

(٥٦) المدائح النبوية فى الهند: الدكتور محمد صدرالحسن الندوى، ص٣٦٤ .و. مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الادب العربى.الدكتور زبير احمد الفاروقى، ص١٤٦ .و. مولانا انور شاه كشميرى حيات اور علمى كارنامے: قارى محمد رضوان الله، ص٨٨

(٥٧) مساهمة دارالعلوم بديوبند فى الادب العربى:الدكتور زبير احمد الفاروقى، ص١٠٠-١٠١ .و. نفحة العنبر فى حياة امام العصر انور: محمد يوسف البنورى، ص١٧٩-١٨١ .و. مولانا انور شاه كشميرى حيات اور علمى كارنامے: قارى محمد رضوان الله، ص٨٧

(٥٨) المدائح النبوية فى الهند: الدكتور محمد صدرالحسن الندوى، ص٣٦٧-٣٦٨

(٥٩) مولانا انور شاه كشميرى حيات اور علمى كارنامے: قارى محمد رضوان الله، ص٨٦

الباب الثالث

الشعراء الهنود الآخرون وقصائدهم في مدح النبی ﷺ

الشيخ احمد بن عبدالقادر الشافعى الكوكنى

هـو الشيـخ احمد بن عبدالقادر الشافعى الكوكنى احد الأدباء المشهورين، ولد فـى ١٢٧٢ه ونشـأ وتـرعرع فى عفاف و طهارة، قرأ كتب المنطق والحكمة والاصول والـكـلام والـطـب عـلـى أشهـر عـلـمـاء عصره وفاق أقرانه و برع فى كثير من العلوم لاسيـمـا الـفـنـون الادبية، وجـل أوقـاتـه كـانـت تمضى فى مطالعة الكتب والتدريس والمداواة، وتوفى رحمه الله سنة ١٣٢٠ه بمدينة بمبئ (مومبائى حاليا) .

كـان من المتضلعين باللغة العربية نثرا و نظما، وله قصائد غراء يمتاز اسلوبها بـحسـن السبك و جـودـة التركيب وطلاوة الالفاظ و جزالة المعنى، وتدل على براعته فـى قـرض الابيـات الـعـربية مـع البسـاطة فـى الاسـلوب والوضوح والجمال والدقة والقوة والجزالة والرصانة والعذوبة، قصيدته فى مدح دارالعلوم لندوة العلماء، ومن ابياتها:(١)

عـفـى ديـار عـلـوم الدين قـاطبة نسـج الـدبـور وأريـاح جرت نقما

يا للمدارس أضحت و هى دارسة يـا لـلـمـكـاتب تبكى العلم والعلما

وأمـا ما يتعلق بما قرضه فى المديح النبوى، فله قصيدة معروفة فى الموضوع و هـى مـن أجـود الـقـصائد و أروعها التى أنشدها أبناء الهند فى المديح النبوى، هذه الـقـصيـدـة ميـمية و تشتـمـل على مائة و ثمانية و عشرين بيتا، وقد قرضها على نهج قـصيـدة البردة للبوصيرى المعروفة فى مدح النبى الكريمﷺ، و هذه القصيدة لم يبـدأهـا الشـاعـر بـالتشبيـب والغزل والنسيب بل بدأها مباشرة بذكر ديار العرب، ثم تـطـرق الـى وصف الـرسـولﷺ وصـفـا بارعا و أمعن فى تصوير صفاته الخلقية والخلقية، فيقول فى مستهل القصيدة:

يا شوق سلم على جيران ذى سلم والثـم ثـرى حـضـرة مرموقة الأمـم

و قـل لهـم أرسـلـوا طيـفـا فطيفهم روح الـمـحبيـن يـحيـى ميت النسـم

من لى به وسهادالعين يمنعه و بالكرى وهو مدفوع بينهم

ثم يستطرد و يمدح النبى الكريم ﷺ ويصفه بالمنزلة التى يستحقها ويذكر حادث الإسراء والمعراج ومعجزات النبى ﷺ من خروج الماء من اصبعيه ونطق الظبئ ومشى الاشجار و غيرها و يذكر مكانة النبى ﷺ العليا بين جميع الانبياء والمرسلين، فيقول:

محمد بهجة الدارين نورهما سر الوجود وعين الجود والكرم
شمس الرسالة من ضاء الزمان به لولاه لم تظهر الأنوار للقدم
كم أنطقت آية الجذر الأصم وكم شفى بها الله آذانا من الصمم
وفاض من اصبعيه الماء منهمرا حياة كل صدفى القفر مقتحم
والظبئ ينطق والاشجار تقصده مشياعلى الهام لا مشياعلى القدم
فاق النبيين اذ أدنى معارجه أقصى معارجهم ناهيك من شمم
أسرى به فأراه الله قدرته على السماوات خلقا كل ملتئم

ثم يذكر الشاعر صفات النبى الكريم الخلقية والخلقية قائلا:

يا أجمل الخلق فى خلق وفى خلق وأكمل الخلق فى مجد وفى كرم
كم فيك معنى ولا لفظ يقابله وهل يعبر عن معنى بلا كلم
انت الشفيع الذى يرجى شفاعته يوما يشيب له الولدان من سدم
وفيك نرجو رضى المولى و رويته و انها غاية اللذات والنعم

وفى نهاية القصيدة يقول:

عليك منى صلوات الله نازلة على الدوام كمنهلّ من الديم
يا رب صلّ وسلم دائما ابدا على أتم مجالى العلم والحكم
والآل والصحب والتابعين لهم أهل الهدى والندى والخيم والشيم
وما تسبح ذرات الوجود وما لبّى الملائكة تامينا لمرتسم

تمتاز القصيدة بالتعبيرات المانوسةالمؤثرة المقنعة و فى كلماتها روعة و جزالة و رصانة و عذوبة، والقصيدة تحتل مكانة مرموقة بين القصائد التى قيلت فى

أرض الهند لفخم عبارتها وقلة حشوها و جودة سبكها و فصاحة الفاظها و متانة أبياتها و جزالة تعبيراتها وروعة معانيها وسمو أهدافها و صدق أمانيها و نبالة أغراضها.

الشيخ على بن ابى الحسن الشيعى التسترى الحيدرآبادى

هـو عـلـى ابن ابى الحسن التسترى الحيدرآبادى، ولد بمدينة حيدرآباد و قرأ الـكتـب الـدراسية والـكتب الاخرى على والده وبرع فى العلوم والفنون و خاصة فى اللغة العربية، وتوفى بحيدرآباد سنة ١٣٢٤ھ ـ(٢)

كـان شـاعـرا اديبـا وكـانـت لـه قـدرة فـائـقة على اللغة العربية، ويمتاز شعره بـالسلاسة والجزالة والرصانة بالنسبة للشعراء الآخرين، ومعظم آثاره الشعرية فى المدح، كما يقول فى مدح نواب صديق حسن خان:(٣)

أميـر الهـنـد ليـس لـه نظير　　وهـل مـن مثـلـه فيهـا نظير

أميـر فى الإمارة لا يضاهى　　لـه الـعـليـا نـديم أو سمير

كبيـر فـى الـمعارف والمزايا　　اذا مـا قيـل فـى الدنيـا كبير

لـه قـصيـدة فـى مدح النبىﷺ، وهى تخميس على قصيدة البردة المعروفة لمحمد بن سعيد البوصيرى باسم " الجوهرة الفردة "ـ يقول فى بداية تخميسه:

أمـن تـصـور مـعـنـى الحل والحرم　　أمـن تـخـاطـر مـغنى العلم والحكم

أمـن تـنـاسى عهود الحب فى الذمم　　أمـن تـذكـر جيـران بـذى سـلـم

مـزجـت دمـعـا جـرى مـن مقلة بدم

فـى بـداية التـخميس سلك الشاعر مسلك محمد بن سعيد البوصيرى فى بيان الـحب والغرام مع الاكبار والاجلال تجاه النبىﷺ، و أما اسلوبه فهو اسلوب رائع جـزل نـاصـع، يـقـول الـدكتـور صـدرالـحسـن الـندوى وهو يسلط الضوء على هذه الـقـصيـدة: " ويـمتـاز شعره بجمع الجزالة والرقة وبجمع الشعور الانسانى الطبعى والـعـاطـفة الـديـنية الـنبيلة، لكن الذى يوخذ عليه أن شعره كنثره فى الكلف بالبديع والـعـنـاية بـالـلفظ والمحسنات والافراط فى جانب اللفظ والتفريط فى جانب المعنى، لـكنه مع ذلك بسبب اقتداره على اللغة العربية ونبوغه فى معرفة اساليب البيان موفّق

فى اختيار الالفاظ البريئة من الاسفاف والابتذال ويبدو كذلك من كلامه المتدفق بالحيوية بأنه بلغ منتهاه فى صوغ الالفاظ والتراكيب للتعبير عن الاحاسيس والانطباعات التى يجدها هائجة مائجة فى قلب الملئ بالحب والهيام والاجلال والاكبار نحو رسول الله ﷺ ".(٤)

ثم يتقدم الشاعر و يذكر النبى ﷺ مادحا فيبدأ بخطاب الذين أهملوا سيرة النبى ﷺ، فيقول:

أهملت سيرة من فاق الورى عملا ودمعه فى صلاة الليل قد هملا

الطهر طٰه عليه رحمة نزلا ظلمت سنة من أحى الظلام الى

أن اشتكت قدماه الضر من ورم

ثم يقول ان النبى هو سيد الكونين والثقلين و هو خير النبيين و أفضل خلق الله:

خير النبيين فى القربى نجيهم وقبل آدمهم هذا صفيهم

و بعد رب الورى هذا وليهم دع ما ادعته النصارى فى نبيهم

واحكم بما شئت فيه المدح واحتكم

نزّله عن ربه وارفعه تفضله على الورى وبشئ لا تعادله

قل فى النبى بأعلى ما تخيله فان فضل رسول الله ليس له

حد فيعرب عنه ناطق بفم

فالخلق والخلق كل منه ذو طرف كالنور فى شقف والنور فى أنف

والدر فى صدف والورد فى عرف كالزهر فى ترف والبدر فى شرف

والبحر فى كرم والدهر فى همم

ثم يذكر الشاعر فى تخميسه حادث الاسراء والمعراج قائلا:

سما براقك من شنق وعن خرم اذ خصّك الله بالزلفى على درم

سرى بجسمك رب العرش عن كرم سريت من حرم ليلا الى حرم

كما سرى البدر فى داج من الظلم

فقاب قوسين أو أدنى محل بها نور القديم وقرب الحق منك زهى

سبحان من جل عن حل ومنه نهى وقدمتك جميع الانبياء بها

والرسل تقديم مخدوم على خدم

وفى نهاية التخميس يقول الشاعر:

مديح بوصيرى العالى أميل به ومن شفيع البرايا استنيل به

خمّسته و هو عرض استطيل به خدمته بمديح استقيل به

ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم

هكذا تنتهى هذه القصيدة و تترك خلفها لنا معانى الحب العميق الغريق فى مدح خير الأنام محمد رسول الله ﷺ، و لذلك لها تاثير فى القلوب ووقع فى النفوس .

الشيخ عبد الحى بن احمد السورتى

هو الشيخ عبدالحى بن احمد السورتى احد العلماء المشهورين، ولد فى سورت سنة ١٢٨٣ه وقرأ الكتب الدراسية على والده ثم تلقى العلوم من علماء عصره من المحدثين والفقهاء والاصوليين حتى برع فى العلوم والفنون.

كان ذكيا فطنا حاد الذهن خطيبا مصقعا متبحرا فى العلوم والفنون وله مشاركة طيبة فى المعقولات والمنقولات، وتوفى بمدينة رنكون فى عام ١٣٣١ه.(٥)

كان الشيخ عبد الحى من الشعراء الذين يقدرون على قرض الابيات فى مختلف العلوم والفنون، فقد كتب فى الصرف والعقائد والمنطق كتبا منظومة، يبدأ كتابه المنظوم " القول الأغر" بهذا الشعر:(٦)

يقول عبد الحى ذو الآثام حمدا لمولى الحمد والإنعام

هذا والكتب الاخرى المنظومة تدل على براعته فى اللغة العربية ومهارته فيها و قدرته الفائقة الكاملة عليها.

له قصيدتان فى موضوع المديح النبوى، أولهما بائية والاخرى يائية، فالقصيدة البائية بدأها الشاعر بالمديح النبوى مباشرة ولم يبدأها بالتشبيب مثل ما كان الشعراء القدامى يفعلون، فيقول فى مستهل القصيدة فى الاسلوب التالى:

بدت ملة حلّت جميع الجوانب وقد أشرقت منها ليالى الغياهب
وزالت ظلام فى قلوب تراكمت فأوضحت شروقا كالنجوم الثواقب
بداية خلق الله خاتم رسله لذا كان موسوما يقينا بعاقب
وأكرم حى فى اناس بأسرهم وأفضل من لؤى بن غالب
فأشرفهم نفسا وبيتا وشيمة لذا اجتمعت فيه صفات النجائب
و بيّن دينا مستقيما مهذبا وأقلع عرق الشرك عن كل جانب
فما ملة الا محاها بدينه لما حرّفت فيها كثير المطالب

وأعطاه قرانا بليغا الهه يجرّ الى دين الهدى كل طالب

و فيها يقول مادحا المهاجرين والانصار الذين قاموا بنصر رسول اللهﷺ في النوائب والمصائب:

فآواه انصار كرام بطيبة وفازوا بنصر فى جميع النوائب

فطوبى لقوم هاجروا مع نبيهم ومن عزّروه فى جميع المصائب

والقصيدة الثانية اليائية بدأها الشاعر بذكر اشتياقه لزيارة مدينة الرسولﷺ و بذكر ما أصابه من الضعف والشيخوخة وينصح لنفسه بترك المعاصى وبالحث على الطاعات، فيقول:

الى ما أرى يا طيب منك التراخيا و قد حلّ وحط الشيب بالرأس ثاويا

وأخبرنى عن قرب الرجال نصيحة فدونك طاعات و خل المساويا

و عض على ما فات منك أناملا وفجر من العين الدموع الهواميا

فكم مرة وافقت نفسا مريدة فقد حمّلت شرا عليك الرواسيا

وكم مرة أحدثت بدعا لشهوة و غادرت هديا مستقيما توانيا

ثم يستطرد الى قوله:

فأرجو رسول الله منك شفاعة فحقق رسول الله منك رجائيا

اذا اشتد يوم ذو هموم و كربة وقد كان أعمال علىّ ولا ليا

فجودك معروف و فيضك ضائع ولم ياب هذا غير من كان غاويا

هاتان القصيدتان المذكورتان فى السطور السابقة ليستا رائعتان جدا، لكنهما تحملان طابعا للغة العربية وتشتملان على الكلمات الفصيحة والتعبيرات البليغة والأحاسيس الصادقة والمشاعر النبيلة والحب العميق للنبى الكريمﷺ ولشريعته، و قلما توجد فى القصيدتين الرشاقة والجزالة ولكن الشاعر مؤفق كل التوفيق فى التعبير عن الأحاسيس باللغة العربية و اجتناب التعقيدات اللفظية والمعنوية، و تمتاز هاتان القصيدتان بالرقة والسلاسة والسهولة واسلوبهما سهل واضح عذب.

والقصيدتان تصوران نفسية الشاعر وحبه للنبى ﷺ، وتحتلان مكانة لائقة بها بين القصائد التى قيلت فى الهند وإن لم تبلغا الى الدرجة التى بلغت اليها قصائد الشعراء الكبار الآخرين مثل غلام على آزاد البلغرامى والقاضى عبدالمقتدر الكندى والشاه ولى الله الدهلوى وغيرهم.

الشيخ عبدالمنعم الجاتغامى

كان الشيخ عبدالمنعم الجاتغامى شاعرا فصيح اللسان ذا قدرة عالية فى نظم الشعر، ولد فى جاتغام وحصل على التعليم الابتدائى فى المدرسة العالية بكلكة وبرع فى العلوم والفنون وصار احد العلماء المبرزين فى النحو واللغة والمعانى والبيان والعروض والشعر، وبعد التخرج فى المدرسة العالية تولى منصب التدريس فى مدرسة دهاكة و جاتغام، و توفى الشيخ فى عام ١٣٣٣ه رحمه الله رحمة واسعة.(٧)

كان شاعرا بارعا فى اللغة العربية، وقام بتصنيف الكتاب " تصويب البيان" و شرح ديوان المتنبى، وله ديوان الشعر العربى الذى يدل على براعته ومهارته فى الفنون الشعرية وذوقه الرفيع للادب العربى(٨) ومن شعره قوله فى مدح بعض اخلاقه:

جرى دمعى المهراق شجوا بمنزل ... رأينا به دارا تراءت كعوكل

و روضا بهوج الريح صارت غصونه ... ايادى ندب فوق رأس لعيطل

ذكرت بها سلمى أؤمل وصلها ... و كيف الرجايا قلب لى عقنقل

فقلت لعينى سامحينى بعبرة ... فلبت فجاء تنى بدمع مسلسل

رأينا بها عينا تولت فلم تعد ... كدأبك مذ هاجرتنى لم تحول

فهل بعد صد زورة منك خفية ... تداوى بها قلب الكئيب المذلل

أعينى بسجع يا حمامة ضارعا ... معنى وقد أعياه نوح التعزل

تراكمت الأحزان والقلب واحد ... تزاحمت الأثقال فى كور محمل

وما عيش من قد بات يبكى تقطعا ... بناب جديدأنشبت أم رنقل

وكيف التذاذ الراح ممن تصادمت ... عليه مراز لم يطق صدر أعبل

صعود العلى همى وما كنت خائبا ... تنفس صعداتى ترى غير اسفل

تقلبنى الايام تقليب قلب ... تحولنى الأحوال تحويل حوّل

أيـا دهـر هـل منك لطف تداركا　　لبلبال بال المستهام المقتل

فـأمـا تدارك أو أشد مراجعا　　زمامي الى باب النبيل المبجل (٩)

وله قصيدة ميمية اخرى يذكر فيها قلقه و تضجعه على فراق الأحبة، ومن أبياتها:

يـاليـت لـي بمراتع الأيام　　من نزلة تطفى اضطرام غرامى

كانوا الضياء و فارقوا فبقاعهم　　بعد الضياء تبرقعت بظلام

رحلوا وقد رحل الحبيب لظعنهم　　و خلف الأكباد بالآلام

لا خير فى عيش الفتى وحبيبه　　مستنكر لمودة الاحلام

لو يعلمون من الذى احببته　　ما لامنى على الهوى لوّامى(١٠)

وأما ما يتعلق بالمديح النبوى، فله قصيدة مدح بها رسول الله ﷺ، ولم يبدأ الشاعر هذه القصيدة بالتشبيب والنسيب والغزل و بذكر الديار والاطلال كما كان الشعراء القدامى يفعلون فى مستهل قصائدهم، بل بدأها الشاعر بذكر الثناء والمدح تجاه النبى ﷺ مباشرة، فيقول الشاعر:(١١)

اليك رسول الله أهدى ثنائيا　　و أبغى به قربا و ان كنت نائيا

أقرب نفسى من جنابك سيدى　　عسى أن أرى روحا على البعد دانيا

عسى تكشف البلوى وكم بك فُرّجت　　غوائل اذ نوديت أدرك غياثيا

أومل منك العطف عطف عواطف　　و ان كنت عما يجلب العطف قاصيا

فانك شمس يستضاء بنورها　　وما كل شئ يقبس الضوء صافيا

أتيتك أرجو من نوالك رشحة　　وما خاب مستسق أتى البحر صاديا

يعرض الشاعر هذه القصيدة كهدية أهداها فى جناب الرسول الكريم ﷺ باغيا التقرب منه على بعده ويرجو كشف المصائب والنوائب ويامل العطف والحنان عن طريق هذه القصيدة المدحية.

أبيات القصيدة رقيقة رائقة و فيها سهولة و عذوبة و هى تخلو من غرائب الكلمات والتعبيرات المعقدة و غيرها.

حبيب ابو بكر بن شهاب العلوى

هو العلامة حبيب ابو بكر بن عبدالرحمن بن محمد بن على بن عبدالله بن عيدروس بن على بن محمد بن شهاب الدين احمد العلوى، ولد بقرية آل فلولة فى اليمن سنة ١٣٦٢ه ونشأ وترعرع فى احضان العلم والثقافة والشرف والتقوى وتلقى العلوم والفنون من العلماء الكبار فى عصره، ثم سافر الى الحجاز فى ١٢٨٦ه و حجّ، ثم رجع الى عدن ولقى هناك الأمراء ورجال العلم والادب ثم سافر الى الشرق الأقصى ثم عاد الى وطنه سنة ١٢٩٢ه واشتغل بالتدريس والافتاء والدعوة والارشاد، ثم غادر اليمن الى الحجاز والشام و مصر والقدس فالآستانة، ثم بعد مدة قصيرة توجه الى الشرق و قدم الهند واستوطن حيدرآباد و تولى التدريس فى المدرسة النظامية فى شبلى كنج حيدرآباد، وتوفى فى سنة ١٣٤١ه بمدينة حيدرآباد و دفن بمقبرة مسجد برق جنك فى نفس المدينة.(١٢)

كان الشيخ حبيب ابو بكر من العلماء البارعين فى اللغة العربية فاستفاد منه خلق كثير، و كان من المتضلعين فى مختلف العلوم والفنون فقام بالبحث والدراسة والإفتاء والدعوة والارشاد والتاليف.

و اضافة الى ذلك كان شاعرا مجيدا من فحول الشعراء، وكان متضلعا من اللغة العربية بارعا فى الادب العربى نثرا و نظما، و شعره يمتاز بجزالة الكلمات و سهولتها و عذوبتها و دقة المعانى و رقتها، يقول الدكتور صدرالحسن الندوى عن براعته فى قرض الابيات و انشاد القصائد: " يوجد كلامه فى اكثر اغراض الشعر من المدح والتهنئة والتبريك والمناقب والتقريض والرثاء والذم والوصف والعتاب، و أشعاره كلها مليئة بالالفاظ الجزلة والمعانى الرائقة والاساليب الرائعة، وقصائده تسيل رقة و دقة، فهو شاعر مطبوع و قريحته تنفجر بالالفاظ العربية الفصيحة والتراكيب المانوسة البعيدة عن الاساليب العجمة والتراكيب الاجنبية والتعقيدات

اللفظية والمعنوية، قصائده مرآة صادقة للألفاظ الناصعة والتراكيب المتينة والجمل الرصينة والكلمات الرشيقة العذبة الصافية الواضحة المعانى والافكار والانطباعات والمشاعر".(١٣)

واما ما يتعلق بالمديح النبوى، فله قصيدتان فى هذا الموضوع، يقول فى احدى قصيدتيه، وقد قرضها عند زيارة المدينة المنورة:

لذى سلم والبان لولاك لم أهوى ولا ازددت مع سلع وجيرانه شجوى
ولو لاك ما انهلت على الخد أدمعى لتذكار ما الروحاء تحويه من أحوى
فأنت الحبيب الواجب الحب والذى سريرة قلبى دائما عنه لا تطوى

و يقول فيها:

ولو انهم دانوا بدين محمد وملته لا استوجبوا العزوا
الا يا رسول الله يامن بنوره وطلعته يستدفع السوء والبلوى
ويا خير من شدت اليه الرحال من عميق فجاج الارض تلتمس الجدوى
عليك سلام الله يا من توجهت الى سوحه الركبان تطوى الفلاعدوا
عليك سلام الله يا سيدا سرت بهيكله العضباء ترفل والقصوى

القصيدة كلها تعبر عن حب الشاعر ومودته للرسول الكريم ﷺ، وتمتاز بالمعانى الصادقة الرفيعة والتعبيرات الرائعة الرقيقة.

واما القصيدة الاخرى له، فهى قصيدة لا يقدر على قرض مثل هذه القصائد الا القليل من الشعراء، و هذا لأن هذه القصيدة تتألف من الحروف الغير منقوطة أى الحروف المهملة، و هذا يدل على تمكن الشاعر و قدرته الفائقة على اساليب اللغة العربية ومفرداتها، ومن ابيات هذه القصيدة فيما يلى:

ساد رسل الله طٰهٰ احمد مصدرالكل له والمورد
هو روح الله والأمر ومعا وله العالم وهو المدد
كامل لما سرى ألهمه علم اللوح حواه الصمد
للورى هاد وللأماك والـ سماء الأعلى الامام والأوحد

علـى اهـل الـكسـا الله صلـ ى دوامـا والسـلام السـرمـد

مـا دعـا داع ومـا سعـى سـاع وحـدا حـاد وصـاح الهـدهـد

الشيخ محمد وحيدالدين العالى الحيدرآبادى

ولد الشيخ محمد وحيد الدين العالى الحيدرآبادى فى عام١٢٨٨ھ فى مدينة حيدرآباد وقرأ الكتب على علماء حيدرآباد، ثم سافر الى شمال الهند للحصول على الدراسات العليا فى العلوم الدينية والطبية والعقلية، وتلمذ على الطبيب الشهير والعالم الكبير الشيخ منصور على خان المرادآبادى و لازمه ملازمة طويلة ، وتوفى فى عام ١٣٤٤ھ فى حيدرآباد.(١٤)

كان رجلا كريما متواضعا، وكان له اطلاع واسع على شئون العالم والوقائع العالمية الاسلامية، كما كان له ذوق عال باللغة العربية و آدابها و تضلع منها، و كان شديد الرغبة فى العلوم الطبية والعربية.

كان الشيخ محمد وحيد الدين العالى من الشعراء المطبوعين باللغة الاردية والفارسية والعربية، وقد برع فى قرض الشعر باللغة العربية خاصة، ويوجد شعره فى مدح النبى الكريم ﷺ ومدح السيد زين العابدين ومدح والى الدكن ورثاء المسلمين و رثاء مصطفى باشا كامل رئيس الحزب الوطنى.

و اما ما يتعلق بالمديح النبوى، فمن الجدير بالذكر ان معظم اشعاره فى المديح النبوى، وقصائده فى هذا الموضوع تمتاز بجزالة الالفاظ و شوكتها ومرونة الاسلوب ومتانته و علو المعانى ولطافتها، يقول فى احدى قصائده فى مدح الرسول ﷺ وقد بدأها بالتشبيب:(١٥)

هل من يبلغ من أهوى و أعشقه　　عنى تحية شوق حين يرمقه

بمهجتى غادة حسناء قد ظعنت　　عن مربع كاد مرّ الدهر يخلقه

ويمدح فيها النبى الكريم ﷺ فى هذا الاسلوب:

محمد سيد الدارين ليس له　　ند ولا خالق الكونين يخلقه

خير النبيين لا تحصى فضائله　　فيحتويها بليغ القول مغلقه

طـوق الـرسالة تاج الرسل خاتمهم　　طـوبـى لـمـن ذاك اخـلاصا يطوقـه

وشافع الناس فى الأخرى وملجأهم　　ومـطـلـع الـخيـر فى الدنيا ومشرقه

و يقول فى نهاية القصيدة:

خيـر الـصـلـوٰة و أزكاها وافضلها　　عـليك فـى جدث بـالـنـور تتأقـه

والآل والـصـحب من قوم لقد بعثت　　اذ تبيـن فتـق الـدهـر تـرتـقـه

ولـه قـصيـدة اخرى حائية بدأها بالتشبيب جريا على مسلك الشعراء القدامى فيقول:(١٦)

اذا اشـدّوا رحـالهـم وراحـوا　　بـدا فـى الـقـلـب حـزن لا يـزاح

فيـا لهـفـى لـصـحـب فـارقـونـى　　فـكـم بيـنـى وبيـنهـم انتـزاح

ولـمـا زاد وجـدى زدت رحـلـى　　اليهـم حيـث حلّوا واستـراحـوا

و بـعـد التشبيب يتطرق الشاعر الى مدح النبى الكريمﷺ وبيان فضائله و مـحـاسـن الاسـلام وميزات الشريعة الاسلامية السمحاء البيضاء و يذكر فيها بعض معجزات النبى الكريمﷺ، فيقول:

ومـن هـو سيـد الـرسـل فـضـلا　　وفـى يـوم الـنشـور لهـم جـنـاح

و نـور قـد أضـاء بـه زمـان　　ومثـل الشـمـس دام لـه اتـضـاح

كـريـم جـوده يـحـكـى الـغـوادى　　اذا مـا الـقـوم أهـلـكهـا الشِياح

فـكـم فـاضـت أصـابـعـه كـمـزن　　روت مـن مـائهـا ارض بـراح

عـلا رسـلا مـضوا من فضل فضلا　　ولا حـوا كـالـكـواكـب حيث لاحوا

بـه ختـمـت رسـالتهم و تـمـت　　عـلـى هـذا جـرى الـقـدر الـمتاح

ولـو لاه لـمـا خـلـقـت سـمـاء　　ولا أرض ولا بـحـر فيـاح

عـليك و آلك الشـرفـاء فـضـلا　　سـلام الـلـه ما انبلج الصباح

ويمدح فى قصيدة اخرى النبىﷺ قائلا:

مـحـمـد سيـد الـكـونين قدوتنا　　رقـت بـه ذروة الأفلاك عدنان

لـولا النبى امام المرسلين غوت　　كـل الأنـام نـواقيـس و صلبان

خير الأنام أجل الأنبياء شرفا بحر به كل من فى الدهر ريان

وله قصيدة اخرى عينية، وهى من أطول قصائده فى المديح النبوى، تتألف هذه القصيدة من مائة و اثنتى عشر بيتا، والشاعر قد بدأها بالتشبيب و ذكر الديار والأطلال والبكاء، فيقول:

بدت بمحيا نوره ظل يسطع تريك كأن الشمس من ثم تطلع
رأيت جمالا لايواريه برقع وضوء به بيض الكواكب تطمع
فلا تسألوا عما دهانى بحبها من الكرب والأحزان ما كان يفجع
جرت عبرات الشوق حتى ظننت أن تسيل دما فيه الفؤاد المفجع

ثم يتطرق الشاعر الى المديح النبوى قائلا:

ألم تعلموا ان الزمان بمرصد و ان اليكم قصده متشنع
فهل من يقيكم من نوائبه التى تضجع بها أسد الآجام و تضرع
بغير النبى الهاشمى لأنه مصير لمن لاقى الدواهى ومرجع
لقد أوضح الله السبيل ببعثه الينا و وجه الدهر أسود اشفع
وللخلق فى الدنيا ملاذ و ملجأ كما هو فى الأخرى شفيع مشفع
يبيت خميص البطن والضيف عنده أكيل و يمسى مائى البطن يشبع
و فاق جميع الانبياء فى كرامة بها نعله نحو السماء يترفع
فداه فؤادى ثم روحى و معشرى و مالى و آبائى واهلى أجمع
و كل مديح فيه قول محقق و ما أجره عند الاله مضيّع

تدل هذه الآثار الشعرية للشيخ محمد وحيد الدين العالى فى مدح الرسول ﷺ على انه كان شاعرا مفلقا وكان متضلعا من اللغة العربية و مقتدرا على اساليبها و كيفية استخدامها، و ايضا تدل على ما يحتوى عليه شعره من الرشاقة والروعة والمتانة والدقة والجزالة فى الالفاظ والتراكيب و تصوير المعانى الدقيقة والأحاسيس الصادقة النبيلة، و كذلك تدل على عبقرية الشاعر فى فن الشعر كما تشهد له البراعة الفنية واللباقة الأدبية و غيرها.

الشيخ اشرف الشمسى الحيدرآبادى

ولد العلامة السيد اشرف الشمسى فى سنة ١٢٨٠ھ بمدينة حيدرآباد فى اسرة عريقة، و كان عالما بارعا و مؤلفا كبيرا بل كان بحر العلوم الدينية والاسلامية وكان مفسرا عظيما و مؤرخا معروفا و فيلسوفا بارعا، انه صنف كتبا كثيرة فى مختلف المواضيع حتى يقال ان عدد تصنيفاته يتجاوز عن مائة و خمسين تصنيفا ولكن معظم مؤلفاته قد ضاعت ولا يوجد منها الا القليل، ومنها تفسيره المسمى بلوامع البيان باللغة العربية، وكان قد كتب مقدمة قيمة لتفسيره تشتمل على خمس مائة و خمسين صفحة، و توفى العلامة فى ١٣٤٩ھ۔(١٧)

كان السيد اشرف الشمسى من الشعراء المطبوعين، يمتاز شعره برصانة الاسلوب و فصاحة اللفظ وسهولة العبارة و بلاغة الكلام، و ابياته مرآة صادقة لمشاعره و افكاره وانطباعاته و احاسيسه، و يوجد فى شعره أثر الثقافة العالية والمعرفة الواسعة للتاريخ و طبائع الناس، قرض الشعر فى معظم أغراضه من المدح والرثاء والغزل والوصف والاعتذار كما له تخميس على قصيدة الفرزدق المعروفة فى مدح السيد زين العابدين۔

يمتاز شعره بجميع ميزات الشعراء العرب من التشبيهات النادرة والاستعارات الفريدة والحكم والأمثال والكلمات السهلة والتعبيرات الجزلة والمعانى الرقيقة الدقيقة۔

و اما ما يتعلق بالمديح النبوى، فله قصيدتان فى هذا الموضوع المفضل، اما قصيدته العينية فتمتاز بسهولة الكلمات و عذوبتها و دقة التعبيرات و رقتها، و معانيها مشتملة على حب عميق تجاه النبى الكريم ﷺ، ومن ابيات هذه القصيدة:

هو المصطفى بين النوادى بحكمة ... هو المجتبى فى العلم بين المجامع

اذا جاء بالنطق الفصيح كأنه ... بليغ عريب بارع فى المصاقع

كـمـا لاتـــه مسك تـضوّع فى الورى　　يـعـقبـه الـفـاظـه فـى الـمسـاقـع

تـعـجبت بـالتـقوى الذى فى حباله　　فـرائســـه مـنهـا بـدور الـمـطـالـع

و فيها:

ضيـــاء لـــحـــق رونـــق لـــديـــانة　　فـفيـه جـلـيـل فـى اصـول الشرائع

اذا خـاف مسـكيـن ليـوم خصومة　　فـلـيـس لـه الـمـقـدام غيرك شـافع

ولـه قـصيـدة اخـرى يـائية فـى نـفس الموضوع، و تشتمل على حب الشاعر الـعـميـق لـلـنبى ﷺ وبيـان عـظمته ﷺ على جميع الانبياء والمرسلين، وقد ذكر الشاعر فيها ان الله تعالى بعث رسوله ﷺ لهداية الانسانية جمعاء وان النبى ﷺ مقدم فى المفاخر والعظمة من جميع الناس، يقول الشاعر فى هذه القصيدة:

فتـوجـه الـرحـمـن نـحـو عبـاده　　لـرشـادهـم وسـدادهـم بعد العمى

بـعـث الـرسول محمدا من قومهم　　لهـدى الـعباد الى صراط استوى

بـــعـــنـــايـة أزلية و عـــطـــوفة　　أبـدية بيـن الـعبـاد مـن اهتـدى

ان كـــان فيـــنـــا بـعثـه متـأخـرا　　فهـو الـمـقـدم فى المفاخر والعلى

فـــالـــحـــق ان وجـــوده متـــقـدم　　ان كـــان آدم قبـلـــه بيـن الـورى

ويـذكر فيها حادث الإسراء والمعراج و عروج النبى ﷺ الى السماوات العلى قائلا:

اذ جبـــرئيـل اتـــى اليـــه مبشـــرا　　متـنـزلا من عند ذى العرش العلى

بـعـروجـه مـن هـذه الـدار التـى　　هـــى دار حـدثـان الـى دار البقـاء

صـعـد السـمـاء و حاز كل سعادة　　ثـاب الـكـمـالات الـزكية والهدى

و أتـى الـى الـفردوس والنار التى　　عـدّت لمن هو مشرك و لمن طغى

و سـرى الـى مـلـكـوتـه بتجمل　　و رأى أعـاجيـب السـمـاء بما رأى

ثـم يـذكـر الشـاعـر البـليات والنوائب التى واجهها النبى ﷺ فى سبيل اعلاء كلمة الله وتبليغ الدعوة الالهية الى الناس، فيقول:

واذكـــر بـليـــات الـنبـى و جـدّه ان كـان قـلبك فـى الـنوائب مبتلى

سـخـروا بـه ان كـان صلى بينهم غـضبـوا عـلـيــه اذا هداهـم او دعـا

يـومـا رنـوه الـى الـمقـام مصليا جـنحوا اليه شرار ناس فى الشقا

فبـكـى عـليـه و قـلبـه متـقـطـع بـأنيـن جـزع كان مسعور الحشا

و فى نهاية القصيدة يقول الشاعر:

لـو لا الهـداية مـنك لـى بـعـطوفة لـما تيسر لى الوصول الى الهدى

أعـطـاك ربك فـى الشـفاعة منحة فـأفض علينا رشح فيضان العطا

الأبيـات الـمذكـورة فى السطور السابقة تدل على براعة الشاعر و مهارته فى استـخـدام الـوسـائـل الـلازمة لـلشـعـر و عـلـى قـدرتــه الموفورة على اللغة العربية ومـفـرداتهـا، فـفى اشعاره عذوبة و سهولة و طلاوة و حلاوة، و فى اسلوبه جزالة و رصـانة و فـصـاحة و نـصاعة، وفى شعره الحنين الى الرسولﷺ والوله الشديد للشريعة التى جاء بها النبى الكريمﷺ.

الشيخ عبدالرحمن السيوهاروى

هـو الشيخ عبدالرحمن السيوهاروى من علماء دارالعلوم بديوبند، كان عضوا مـن أعـضـاء مـجلس العلماء بهوبال، وكان شاعرا ذا قدرة فائقة فى نظم الشعر باللغة الـعـربية، ولـه عـدة قـصـائد فى مختلف موضوعات الشعر، منها قصيدته فى وصف "دارالـحـديـث" بـدارالعلوم بديوبند التى تحتوى على ستة و عشرين بيتا، وفيما يلى ابيات مختارة من هذه القصيدة:(١٨)

دارالـحـديـث حـمـى الالـه حماهـا و رعـى خـمـائـل روضهـا و سقاها
دار لأزهـــار الـحـديـــث حـديقة فتـعـطـر الـكـونـان مـن ريّـاهـا
بسـمت هناك زهورهدى المصطفى لـلـلـه عـرف شـمـيـمهـا و شذاهـا
نـفـحـات طيبة فى نشـائم روضهـا ومـن الـحـجـاز نسيمها وصباهـا
يـا سـائـرا قف سـاعة فـى سـوحها وامـكـث مـليا فـى ظـلال رباهـا

و أمـا مـا يتـعـلـق بـالمديح النبوى، فله ثلاث قصائد فى هذا الموضوع تشتمل عـلـى عشـريـن ، و أربـعين، و ستين بيتا على وجه الترتيب بالاضافة الى قصيدة فى موضوع الاشتياق لزيارة المدينة المنورة تحتوى على ستة و ثلاثين بيتا(١٩) و هذه الـقـصـائـد كـلـهـا تـدل عـلـى مستواه الرفيع من القدرة على نظم الشعر باللغة العربية خاصة فيما يتعلق بأبيات التشبيب، ومن قصيدته المشتملة على ٢٠ بيتا:(٢٠)

يـا لـو عة الـحـب مـذ أوريت فى خلدى أحرقت ما كان من صبرى و من جلدى
زيـدى فـزيـدى ولا تبقى ولا تذرى عضوا بجسمى ولا قلبى ولا كدرى
فـعـبـرتـى كـصـبيـب الـقـطـر هـامرة و زفـرتـــى كـلـهيـب النـار فـى وقد
فـالـدمـع يـفعل فعل الدهن وا عجبا قـد زاد هـذا البـكـا فـى لاعـج الكمد
مـن يـدفـع الهم عن ذى الهم حينئذ ويجمع الشمل حيث الشمل فى بدد
انـت الشـفيـع لـمـن قـد فـاتـه أمل عـنـد الـعـزيـز الـجليل الملك الأحد

و لـه قـصيـدة اخرى لامية تحتوى على أربعين بيتا(٢١) ولم يبدأ الشاعر هذه القصيدة بالتشبيب بل بدأها بذكر طيف ألم به فى ليلة من مدينة الرسولﷺ، و صوّره تصويرا رائعا جميلا، فيقول:

ألـم طيف سـرى ليـلا علـى عجـل — مـن نـحـو طيبة مـغـنـى سيد الـرسل
جـاب الـقـفـار علـى ظهر السُرى فأتى — وقد طوى الارض من سهل و من جبل
اهـلا و سهـلا فيـا لـلـلـه مـقـدمـه — فـى العين مثل الكرى و فى القلب كالجذل
ويـا لـه مـن لـطيف جلّ عـن بـصـر — قـد زار فـى حـلة مـن احسـن الـحلل
فـداه مـن طـارق نـفسـى ومـا بيـدى — مثـواه فـى خـلـدى و مـاواه فـى مقلى
غسـلـت عـن قـدميـه بـالـدمـوع أرُ — شّهـا علـى كبـدى اشـفـى بهـا علل
فـقـال لـى لـم تبكى قلت من أسف — علـى زمـان مـضـى فـى الغىّ والغفل

ثم يتطرق الشاعر بعد هذه المقدمة الرائعة الى مدح النبىﷺ ويقول:

فـقـال لُـذ بـجـنـاب الـمـصطفى وكفى — هـو الشـفـيـع لأهـل الـذنـب والـزلـل
بـلـى و يشـفـع اهـل الـحشـر فى فزع — يـظـن كـل امرءٍ ان لا شـفـاعة لـى
يـاتـى شـفـيـعـا الـى الـرحمن يسجده — يثـنـى عـلـيـه بـمـا لـم يثن من رجل
اكـرم بـــه مـن رسـول راحـم رؤف — بـالـمـومـنـين و بـالاحسـان مشتمل
داع الـى الـجـنة الـمـاوىٰ ومـرحـمة — لـلـعـالـمين ومـنـجـاة مـن الشـعل

ويشير فيها الى حادث الإسراء والمعراج قائلا:

بـعـد الـرسـالة للإسـراء مـنتدب — قبـل الـفـطـام بشـرح الـصدر مكتمل
و قـاب قـوسيـن أو أدنـى تـقـربـه — و بـالـكـليـم الـخـطـاب انظر الى جبل

ثـم يـذكـر مـدينة الرسولﷺ وما كان لها من افتخار ومكانة مرموقة سامية لأجل قدوم النبىﷺ الميمونة اليها، وفى نهاية القصيدة يقول:

لا تبتـئـــس واتبـع آثـار سـنتـه — عـلـيـه صـل وسـلـم دائـمـا و قـل
ابـعثـه رب مـقـامـا قـد وعـدت بـه — وارزق شـفـاعتـه عبدا أخـا أمل
صـلـى و سـلـم ربـى دائـمـا ابدا — علـى الـنبـى أمـان الخـائف الوجل

ولـلشيـخ عبدالرحمن السيوهاروى قصيدة اخرى فى نفس الموضوع تشتمل

على ستين بيتا، و من ابياتها:(٢٢)

هـذا فـؤادى نهبـى بيـن غـزلان　　اغـرن جهراعلى صبرى و سلوانى

رتـعـن مـا فى رياض القلب من أمل　　ومـن سـرور ومـن روح و ريـحـان

لـمـا نهبـن متـاع الـقـلـب من جلد　　بـلـونـه بـعـذاب بـعـد هـجـران

الـرامـيـات بـلا قـوس ولا وتـر　　والـفـاتـكـات بـلا ضرب وتطعـان

ذوات خـدر ولا يبـديـن زيـنتهـا　　و هـن فتـنة زهـاد و رهبـان

أعـوذ بـالـلـه ربـى كـل آوبة　　مـن شـر فـاتـنة من شـر فتّـان

هذه القصائد الثلاث فى المديح النبوى للشيخ عبدالرحمن السيوهاروى تمتاز باساليبها القوية الممتازة بطرافة المعنى وسلاسة البيان، و تدل على اقتدار الشاعر على اللغة العربية ومعرفته مفرداتها معرفة جيدة، و ايضا تدل على حب الشاعر العميق تجاه النبى الكريم ﷺ.

الشيخ عبدالقدير الحيدرآبادى

ولد الشيخ عبدالقدير بن عبدالقادر بن فضل الله البكرى الحيدرآبادى فى ١٢٨٨ھ فى مدينة حيدرآباد وقرأ الكتب الدراسية والكتب الادبية على العلماء المشهورين فى عصره وتولى منصب التدريس فى الجامعة العثمانية كما عيّن رئيسا فى القسم الدينى فى نفس الجامعة.

كان احد العلماء المبرزين فى العلوم الدينية والادبية وله مصنفات فى مختلف الفنون فى التفسير والتصوف والكلام والأدب، وكان كلامه المنثور له وقع فى القلوب و تاثير فى النفوس، وقد توفى سنة ١٣٨١ھ بمدينة حيدرآباد و دفن بها.(٢٣)

كان الشيخ عبد القدير الحيدرآبادى من الادباء المفلقين والشعراء النابغين، وقصائده فى المديح النبوى خير دليل على تضلعه من اللغة العربية و قدرته على آدابها.

يقول الشاعر فى احدى قصائده فى مدح النبى ﷺ :(٢٤)

جد الهوى والجوى والسقم والالم ... والغم عم وحبل الصبر ينفصم

الجسم فيه ضنى والقلب فيه هوى ... والصدر فيه جوى والنار تضطرم

حبا لأحمد خير الخلق كلهم ... المصطفى المجتبى طابت له الشيم

الشمس غرته والليل طرته ... تبدو نجوم الليل حين يبتسم

الله عاصمه جبريل خادمه ... دانت له الرسل الأمجاد والأمم

من نور وجهك انوار الهدى انتشرت ... به تقوض ليل الكفر والظلم

و جود كفك بحر غاب ساحله ... أمواجه كالجبال الشم تلتطم

و فى قصيدة اخرى نونية يبدى الشاعر حبه العميق لشخصية الرسول ﷺ قائلا:

ألا ان قلبى فى قيود الهوى عان ... ولوعة وجد قد أضرت بجثمانى

ولـى زفـرات قـد عـلـت ذروة السمـا بهـجر جميل الخلق والخلق ذى شان

لـــه قـدم تـعـلـو الـرؤوس و عـزة لهـا تـنـحـنى اعناق جن و انسـان

عـليك صـلـوات الـلـه ثـم سـلامـه الـى ان تشذى الزهر فى روض بستان

ويقول فى قصيدة اخرى مادحا النبى ﷺ:

يـا رب سـلـم عـلـى محمد المصطفى المجتبى محمد

هـادى الـعبـاد الى الرشاد شـفـيـع يـوم الجزاء محمد

قـلبـى كـئيب شغلى نحيب مـا لـى حبيب سوى محمد

ويـعبر عن أحاسيسه الصادقة و مشاعره المفعمة بحب النبى الكريم ﷺ فى قصيدة أخرى قائلا:

فـاض دمـعـى بـلبتـى و نجـادى و جـوى الـحـب فى خلال فؤادى

فـرقـادى و سـلـوتى فى انتقاص و اضـطـرابى و شدتى فى ازدياد

مـا مـرادى مـن الرقـاد سوى أن اجتـلـى وجـه سيـدى فى الرقـاد

مـصـطـفـى مـجتبـى كريم شفيق و شـفـيـع الأنـام يـوم التنـاد

ولـه قـصيدة اخرى ممتازة بنوعها الخاص بين القصائد التى قيلت فى المديح الـنبـوى، و هـو التسـليـم عـلـى الـنبى ﷺ فى كل شعر و احيانا فى المصرعين من الشـعـر فـى الـقـصيـدة، ولعل هذا النوع من القصائد لا يوجد الا عند الشعراء الهنود فيقول الشاعر فى قصيدته المعرّفة بالسلام:

يـا جـميـل الشيـم سلام عليك يـا وسيـع الـكـرم سلام عليك

صـادق الـقـول واسـع الطول يـا عـميـم الـنـعـم سلام عليك

سيـدى المصطفى سلام عليك احـمـد الـمـجتبـى سلام عليك

أكـرم الأتـقيـاء سـلام عـليك خـاتـم الانبيـاء سـلام عـليك

أكـرم الـخـلـق عـنـد خـالقهم انـت يـوم الـجـزاء سلام عليك

جـئـت ارجـو شـفـاعة مـنك يـا شـفيـع الورى سلام عليك

فـى جـميـع هـذه القصائد استخدم الشاعر الكلمات الفصيحة والالفاظ العذبة التـى تسـر الـقـارئيـن والسامعين، و فيها الجزالة و الروعة الادبية والنصاعة اللفظية والـمـعـانـى الواضحة والتراكيب الرصينة، و فيها لوعة الحب ولهفته لشخصية النبى الـكريـم ﷺ تشتعل و تلتهب، وقد اختار الشاعر التعبيرات البليغة لأداء معانى الحب الكامنة فى قلبه التى يثير العاطفة والمشاعر والأحاسيس.

ابو محمد طاهر سيف الدين

ولد السيد ابو محمد طاهر سيف الدين فى سنة ١٣٠٥ھ فى مدينة بومبائى كان من دعاة طائفة البوهرة المتحمسين والمرجع النهائى فى الأمور الشرعية لطائفة البوهرة، وحسب معتقدات طائفة البوهرة لا بد من وجود داع فى كل عصر من العصور ولا بد من ان يكون الداعى واجبا اتباعه فى الاحوال كلها و يجب مراعاة تعليماته ولا يجوز رفض ما امره به، فالداعى عندهم هو صاحب أمر و نهى بلا نزاع، و توفى السيد محمد طاهر سيف الدين فى عام ١٣٨٥ھ.(٢٥)

كان شاعرا مجيدا فى اللغة العربية وله عدة قصائد فى مدح النبى ﷺ، وتدل هذه القصائد على قدرته الفائقة على اللغة العربية و تمكنه من ناصيتها من ناحية البيان والاسلوب الرائع الممتاز.

يمدح الشاعر فى احدى قصائده سيد الكونين والثقلين رسول الله ﷺ و يذكر سمو مكانته و علو درجته بين الانبياء والرسل ويصفه بصفات صافية رفيعة كان يحتلها النبى الكريم ﷺ، فيقول:(٢٦)

طٰهٰ النبى المصطفى خير الورى ... أعطاه ذو العرش الكريم الكوثرا

هو سيد الكونين والثقلين بل ... هو علة الأكوان ما فيه امترا

أكرم به من مرسل فى ليلة الـ ... إسراء من حرم الى حرم سرى

الله أرسله امتنانا رحمة ... للعالمين ومنذرا و مبشرا

ما كان الا بالهدى مزّملا ... ما كان الا با لتقى مدّثرا

أ فهل ترى فى الخلق اكرم محتدا ... و أرومة منه و اكرم معشرا

و يقول الشاعر فى احدى قصائده مادحا رسول الله ﷺ:

يا رسول الله يا خير البشر ... خاتم النذر جميعا والبشر

يا رسول الله يا مولى الورى ... يا نبى الله يا نعم الوزر

و يصف فيها الشريعة الاسلامية التى أتى بها النبى الكريم ﷺ قائلا:

شـــرعـــه عـذب فـرات مـــاؤه　　شـــربـــه غيـر مشـوب بـالـكـدر

شـرعـــه البـحـر رشـادا أن مـن　　لـــم يـطهـــره فـلا يـومـا طهـر

ويقول الشاعر فيها:

عـــلة الأكـــوان لـــو لاه لـــمـــا　　فـــاطـر الأفـلاك ايـــاهـا فـطر

يشهـــد الاشيـــاء طـــرا انـــه　　مـرسـل مـن ربـه حتـى الـمدر

مـدحـــه حـق و صـدق و هـدى　　مـــا ســواه فهـو نـوع مـن هـذر

لـم تـزل تهـمـى عـليـه من سحب　　مـن صـلـوة الـلـه ما انهل المطر

والجدير بالذكر أن الشاعر لعله أخذ معنى البيت التالى فى هذه القصيدة:

عـــلة الأكـــوان لـــو لاه لـــمـــا　　فـــاطـر الأفـلاك ايـــاهـا فـطر

مـن الشـعـر الـذى مـدح بـه ابـوالـطيـب الـمتـنبى ممدوحه أبا على هارون بن عبدالعزيز الأوراجى الكاتب قائلا:

لـو لـم تكن من ذا الورى اللذ منك هو　　عـقـمـت بـمـولـد نسـلـهـا حوّاء(٢٧)

وللشاعر السيد ابو محمد طاهر سيف الدين قصيدة اخرى ميمية يعبر فيها عن حبه العميق تجاه النبى الكريم ﷺ و يصفه بصفات لائقة به، فيقول:

طـــهٰ الـنبـى سيد الـرسـل　　خيـــر البـــرايـــا قبـلة الـقبـل

داع الـــى الـلـــه بـــاذن لـــه　　مـنـــه وهـاد أوضـح السبـل

أعـلـى بـه الـلـه دين الهدى　　أعـلامـه فـى السهـل والجبل

من وجهه كالشمس فى ضوئه　　و كـفـــه كـالـعـارض الهـطـل

طـوبـى لـمرء يذكر المصطفى　　احـمـد بـــالـغـدو والاصـل

وفى نهاية القصيدة يقول:

سـلامـنـا بـلّـغ نسيـم الـصبـا　　روح رسـول الـلـه ان تـصـل

أحبـــه حبـــا صـــمـيـمـــا ولا　　اخـــاف مـن لـوم و لا عـذل

افديه بالنفس والآل والـ مال بلا وهن ولا ملل

وله قصيدة اخرى ميمية يبدأها الشاعر بقوله:

احمد المصطفى النبى التهامى سيد المرسلين خير الأنام

صيته فى الانام كالمسك شاذ ذكره فى الدهور لا ريب نام

أصله ثابت بأرض المعالى فرعه فى سماء قدس سام

ثم يصف الشاعر فيها الشريعة الاسلامية الطاهرة التى أتى بها النبى الكريم ﷺ، فيقول:

دينه الحق عروة الله حقا وهى وثقى مامونة الانفصام

سنّ فى دينه المساواة بين الذ اس طرا من كل خاص وعام

أمر الناس بالعبادة لله نهى عن عبادة الاصنام

ثم يذكر فيها بعض المعجزات النبوية قائلا:

كم له من معاجز باهرات كان فيها ذكرى اولى الأحلام

ان يسرِ فى النهار يظلله من نه جير شمس النهار مثل الغمام

قمر فى سماء ها شم انشـ ق له بالاعجاز بدر التمام

وأتته الاشجار تمشى على سو ق لها ضخمه بلا اقدام

و فى نهاية القصيدة يقول:

من يزغ عن هداه يضلل و يظلل هاملا مثل هذه الانعام

هو للمذنبين خير شفيع عند رب مهيمن علّام

هذه القصائد كلها تدل على نبوغ الشاعرفى اللغة العربية ومعرفته مفرداتها و كذلك تعبر عن حبه العميق للنبى ﷺ، والمعلوم ان حب الرسول الكريم ﷺ واجب على كل من يتبعه، فالشاعر قد نجح فى أداء ضريبة هذا الحب عن طريق قصائده فى مدحه ﷺ.

الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى

ولد الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى فى بلدة كاندهلة بمديرية مظفر نكر فى ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م ، حصل على التعليم الابتدائى فى الزاوية الأشرفية للشيخ اشرف علي التهانوى، ثم التحق بمظاهر العلوم فى سهارنفور وتخرج فيها مع التخصص فى علم الحديث فى ١٣٣٦هـ ـ ١٩١٨م، ثم جاء به تلهفه الشديدللعلم الى دارالعلوم بديوبند حيث تخصص فى علم الحديث للمرة الثانية فى ١٣٣٧هـ ـ ١٩١٨م ، وبعد الحصول على التعليم تولى وظيفة التدريس فى المدرسة الأمينية الاسلامية فى دهلى، ثم جاء الى ديو بند واشتغل مدرسا فى دارالعلوم، ثم ذهب الى حيدرآباد، ثم رجع الى دارالعلوم بديوبند و قام بتدريس كتب التفسير والحديث، ثم هاجر الى باكستان حيث عين شيخ الجامعة فى الجامعة العباسية بمدينة بهاولفور، وبعد سنتين عيّن شيخ الحديث فى الجامعة الاشرفية فى لاهور حيث اشتغل لمدة ٢٢ سنة، و توفى فى لاهور سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .(٢٨)

كان عالما كبيرا وله كتب ضخمة فى علم الحديث والعقائد، و كان العلامة السيد سليمان الندوى يقول فى اعتراف مكانته العلمية السامية " يحثنى قلبى ان أسرق علم الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى ".(٢٩)

كان الشيخ محمد ادريس الكاندهلوى شاعرا بارعا وكانت له قدرة ملحوظة على نظم الشعر باسلوب سهل و سليس يخلو من الكلمات و التراكيب المعقدة، و ههنا نموذج لذلك فى السطور التالية من قصيدته التى سماها " رائية الحمد والثناء والدعاء والمناجاة "، فمن أبياتها:(٣٠)

لك الحمد والتقديس والمجد كله　　تباركت يا رب السماوات والثرى

لك الفضل والنعماء والشكر كله　　فنعماك جلت ان تعد و تحصرا

و لو ان ما فى الكون من كل كائن　　لسان يديم الحمد كان مقصرا

رضيت بك الاله ربا و مالكا وبالمصطفى الهادى رسولا مبشرا

و بالملة البيضاء دينا و شرعة عسى أن اردن يوم القيامة كوثرا

و أما ما يتعلق بالمديح النبوى فله عدة قصائد فى هذا الموضوع، و أطولها ميمية المديح والثناء ولامية المعراج، يقول الدكتور زبير احمد الفاروقى ان الشيخ الكاندهلوى كان يحب القصيدة ميمية المديح والثناء للغاية فكان يقرأ ابياتها من حين لآخر(٣١) ومن ابيات هذه القصيدة:

اذا كان مدح او ثناء منمنم فأكرم خلق الله أولى و أقدم

ولا بد من بحر طويل لمدحه لما انه بحر المكارم قلزم

لكل امرئ فى الحب دين و مذهب يدين بما يهوى و ماهو يزعم

ودينى حب المصطفى منبع الهدى أجلّ الورى من فى الجمال مسلم

وقصيدته التى سماها بـ ''لامية المعراج'' تشتمل على واقعة الإسراء والمعراج وقد ذكر الشاعر فيها هذا الفضل الذى أنعمه الله تعالى على رسوله ﷺ بالتفصيل تحتوى هذه القصيدة على مائة و ستة و عشرين بيتا، و منها:

الا ليت شعرى هل يقولن مقولى قصيدا بإسراء النبى المبجل

فسبحان من أسرى بليل بعبده الى المسجد الاقصى الى عرشه العلى

تمطى براقا خطوه مدّ طرفه كبرق وليس البرق منه بأعجل

فلاح كبدر فى الكواكب كامل فيا لاحتفال الكواكب مخجل

دنا فتدلى قاب قوسين و أدنى و اكرم بالايحاء سبحان مفضل

رآه رآه دون شك و ريبة وما زاغت العينان عن نوره الجلى

رآه بعيني رأسه و فؤاده رواه ابن عباس صحيح مسلسل

و ليس محالا ان يرى العبد ربه بغير محاذاة و اين و هيكل

ومعراجه كان بالجسم يقظة كما هو منطوق بالكتاب المفضل

رأى الآية الكبرى و ما شاء ربه رأى جنة المأوى و ما لم يخيل

و فارقه روح الامين بسدرة وقال له هذا نهاية منزلى

و للشيخ ادريس الكاندهلوى قصيدة اخرى نظم فيها أسماء النبى الكريم ﷺ، و هذه القصيدة تتألف من اربعين بيتا، و فيما يلى ابيات مختارة من هذه القصيدة:(٣٢)

هو الصالح الصادق المؤتمن رواء الغليل شفاء السقيم

هو الأعلم الأكرم المرتجى صفوح نصوح عفو كريم

هو العاقب الحاشر المستغاث مجير الورى من عذاب الجحيم

هو الأحسن الأجود الأشجع أغر الجبين جميل وسيم

ختام النبيين والمرسلين مقفّ و ماح قئوم مقيم

ختام السلام كمسك الختام لختم الكرام نبى فخيم

وأصحابه الأصفياء الكرام مدى الدهر مادام يجرى النسيم

هذه الابيات المختارة من قصائد الشيخ الكاندهلوى فى المديح النبوى تعبر عن أحاسيسه الصادقة و مشاعره النبيلة الغريقة فى حب سيد الورى الرسول المصطفى ﷺ، كما تدل هذه الابيات على تمكن الشاعر و تضلعه من اللغة العربية و قدرته الملحوظة على قرض الابيات و انشاد القصائد باسلوب سهل سلس وكلمات رائعة عذبة .

الشيخ محمد يوسف البنورى

هـو العلامة محمد يوسف بن سيد محمد زكريا بن مير مزمل شاه بن مير احمد شـاه البـنـورى الـحسيـنـى، ولـد فى ١٣٢٦ھ ـ ١٩٠٨م فى قرية بمديرية بشاور(فى بـاكستـان حـاليـا) وبعد أن أتم القرآن على والده و خاله ذهب الى كابول و كان طفلا صـغيـر السـن ودرس الـكتـب البـدائية للصرف والنحو فى احدى المدارس هناك كما درس الـفـقـه وأصـولـه والمنطق والمعانى وغيره من الفنون الاخرى لدى العديد من الاسـاتـذة فـى كـابـول و بشـاور، ثم سافر الى ديو بند ودرس الحديث و أصوله فى دارالـعـلـوم و قـضى فيها سنتين من ١٩٢٦م الى ١٩٢٨م ثم ذهب الى جامعة دابهيل بـولاية غـجـرات لِاتـمـام دراستـه فـى علم الحديث، وفى هذا الأثناء تعمقت صلته مع استـاذه الـعـلامة انـور شاه الكشميرى فاستفاد منه استفادة تامة و فاق فى ذلك كافة زملائه ورفاقه.

بـدأ حيـاتـه التـدريسية فـى جـامعة دابهيل، ثم وقع عليه الخيار لتولى منصب رئيـس هيـئة الاسـاتـذة و شيـخ الحديث فى تلك الجامعة كما انتخب عضوا للمجلس الـعـلمى لنفس الجامعة، و فى عام ١٩٣٧م أوفده المجلس العلمى الى مصر فى مهمة طباعة " فيض البارى" للعلامة انور شاه الكشميرى حيث أقام لفترة أكثر من سنة.

و بـعـد تـقسيـم بـلاد الهـند، هاجر الى باكستان فى ١٩٥٠م واشتغل بمنصب شيـخ التـفسيـر فـى دارالـعـلـوم الاسـلامية فى حيدرآباد السند، ثم استقال من هذه الـوظيـفة وانتـقـل الـى كـراتشـى حيث أقام معهد التربية لخريجي المعاهد والمدارس العربية الاسلامية.

سـافـر الشيخ البنورى الى الحرمين الشريفين عدة مرات والى البلدان العربية و غيـر الـعـربية من العراق والقاهرة و ليبيا والاردن و سوريا وبيروت و افغانستان و تـركيـا واليـونـان و شـرق افـريـقيـا حيـث سـنحت له الفرصة لمقابلة العلماء و زيارة

المكتبات العلمية، توفى العلامة البنورى فى ٣ ذى القعدة سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م فى مدينة راولبندى.(٣٣)

كان الشيخ البنورى عالما اديبا شاعرا، وتدل على مستوى كماله فى اللغة العربية و آدابها قصائده الرائعة فى مختلف الموضوعات اضافة الى كتبه العديدة منها " نفحة العنبر" و هذا الكتاب قد لاقى الكثير من الاعجاب والتقدير ليس لدى العلماء الهنود فقط بل ولدى العلماء العرب ايضا .

و شعر الشيخ البنورى يمتاز بطلاوة و حلاوة و عذوبة و سهولة، اسلوبه فيه اسلوب قوى ناصع رصين ليس فيه تكلف أو صنعة، وفيما يلى ابيات مختارة كنموذج لشعره الممتاز باسلوب قوى فصيح من احدى قصائده، و هذه القصيدة تتضمن سبعة وأربعين بيتا، وقد قرضها الشيخ البنورى ترحيبا لشيخ الازهر والوفد المرافق له عام ١٣٥٥هـ :

أتانا ربيع بعد مهل فانعما　　بروض محول ظل منه مسهّما
و طاب نسيم الصبح حتى أخاله　　يهب بأنفاس الكرام منعما
نعم قد أتانا من ديار بعيدة　　نوابغ مهد العلم والفضل أكرما
شآبيب مصر قد همت بديارنا　　فوشت محيا الهند وشيا منمنما

و أما ما يتعلق بقصائده فى المديح النبوى، فله قصيدتان فى هذا الموضوع، احداهما قصيدته المسماة بـ " الإسراء والمعراج" و يقول بصدد هذه القصيدة الدكتور زبير احمد الفاروقى: " و للشيخ محمد يوسف البنورى، وهو تلميذ خاص للعلامة انور شاه الكشميرى و كان يعرف بقدرته على نظم الشعر ارتجالا بدون تصنع أو تكلف، قصيدة على موضوع " الإسراء والمعراج" ونشرت القصيدة فى مجلة " الاسلام" المصرية بعددها الخاص فى ٢٨ رجب ١٣٥٧هـ مما يدل على اعتراف العلماء و الأدباء العرب بمستواه الرفيع فى الشعر العربى ".(٣٥)و من أبيات هذه القصيدة فى التشبيب:

هام الفؤاد بحب الغيد وا أسفا فمقلتى مزنها بالوجد قد وقفا

فالنفس تصلى بنار الحب من وله والعقل فى شرك الأهواء قد خطفا

قد كنت احسب أن العز مبتعد عن الغرام وما أن خلته شرفا

حتى غدا لى شغلا شاغلا أبدا و صرت بالصد والهجران ملتحفا

و يمدح ا الشاعرفيها النبى الكريمﷺ قائلا:

نعم بأشراف خير الخلق كلهم بهديه يرتجى للسقم منه شفا

هوالرسول الذى أولى الأنام هدى وشق من نوره مما حوى صدفا

محمد صفوة البارى و رحمته و احمد خير خلق الله اذ وصفا

محمد جاء بالقرآن معجزة دامت لنا روضة مخضرة انفا

فاقت حقائقها راقت دقائقها تهديك نورا مبينا للقلوب شفا

وله قصيدة اخرى رائعة فى المديح النبوى، و تتألف هذه القصيدة من ثلاثة و سبعين بيتا، قد وصف الشاعر فيها الكثير من شمائل النبى الكريمﷺ النبيلة و خصائله السامية الطاهرة باسلوب يمتاز بالسلاسة والمتانة و روعة الكلمات و عذوبتها مما يليق بشان النبى الكريمﷺ، فيقول الشاعر فيها:(٣٦)

طاف الخيال من الحبيب و زارا فاهتز قلب المستهام و طارا

سرت المسرة فى العروق جميعها كدم الحياة سرى هناك و دارا

طيف بدا يجلو الهموم رواحه روح الحياة و سره اذ سارا

قرّ العيون بشيمة من برقة فله جمال يعجب الأبصارا

لا غرو طيف فى الزمان مبارك طيف النبي الأبطحي ديارا

يا مدنفا فى حبه و جماله متحيرا لكماله إكبارا

ألقى عليك شمائلا من حسنه فى عقد در يعجب الأنظارا

هو أدعج كهل العيون و أبلج أقنى أزج و أهدب أشفارا

طلق الجبين اذا تبسم ضاحكا فاقت اسارير الجمال نضارا

فـجبينـه كـالبدر يشـرق دلـجة قـد فـاق بـدرا وجهـه اذ نـارا

و تشـعشـعت أنـواره بـجبينـه متهـلـل سيـمـاؤه انـوارا

مـا شـمـس جـرزاء و مـاذا بدرها بـجـمـال وجـه لـلـرسول أنـارا

هـذه الأبيـات الـرائـعة لـلشيـخ محمد يوسف البنورى تعبر عما كان يجول فى خـاطـره مـن حـب عـميـق و غـرام و هيـام تـجاه النبى الكريم ﷺ، و هى عبارة عن مشـاعـره الصادقة و أحاسيسه النبيلة لخاتم الانبياء والمرسلين ﷺ، كما تدل هذه الأبيـات عـلـى قـدرتـه الموفورة الفائقة على اللغة العربية و ناصيتها و قرض الابيات بـاسلوب قوى ممتاز و خلوها من الكلمات الغريبة العويصة والكلفة والصنعة، هذا و لأنه كان شاعرا مطبوعا مقتدرا على نظم الشعر باسلوب يمتاز بالفصاحة والسلاسة والجزالة والمتانة والروعة .

الهوامش

(١) هند و پاك میں عربی ادب: اقبال احمد سلفی، ص٧٣

(٢) نزهة الخواطر: الشیخ عبدالحی الحسنی، ج٨ ، ص٣٢٣

(٣) هند و پاك میں عربی ادب: اقبال احمد سلفی، ص٧٧ .و. نزهة الخواطر: الشیخ عبدالحی الحسنی، ج٨ ، ص٣٢٤

(٤) المدائح النبویة فی الهند: محمد صدرالحسن الندوی، ص٢٩٥

(٥) نزهة الخواطر: الشیخ عبدالحی الحسنی، ج٨ ، ص٢٣٤

(٦) هند و پاك میں عربی ادب: اقبال احمد سلفی، ص٨٢

(٧) نزهة الخواطر: الشیخ عبدالحی الحسنی، ج٨ ، ص٣١٤ .و. هند و پاك میں عربی ادب: اقبال احمد سلفی، ص٨٦

(٨) الثقافة الاسلامیة فی الهند: الشیخ عبدالحی الحسنی، ص٥١ .و. هند و پاك میں عربی ادب: اقبال احمد سلفی، ص٨٦

(٩) نزهة الخواطر: الشیخ عبدالحی الحسنی، ج٨ ، ص٣١٢-٣١٤

(١٠) المصدرالسابق: ص٣١٢-٣١٤

(١١) المصدرالسابق: ص٣١٣

(١٢) یراجع للتفصیل: المدائح النبویة فی الهند: محمد صدرالحسن الندوی، ص٣٢٠-٣٢١

(١٣) المصدرالسابق: ص٣٢٢

(١٤) المدائح النبویة فی الهند: محمد صدرالحسن الندوی، ص٣٢٩

(١٥) الجواهر الزاهرة فی مدح النبی و آله الطاهرة: محمد وحیدالدین العالی الحیدرآبادی، ص ٣-٦

(١٦) المصدرالسابق: ص٧-٩

(١٧) نزهة الخواطر: الشیخ عبدالحی الحسنی، ج٨ ، ص٥٥

(١٨) مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی: الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص١٢٢

(١٩) المصدرالسابق: ص١٠٤

(٢٠) المصدرالسابق: ص١٠٤-١٠٥

(٢١) مجلة القاسم: ربیع الاول ١٣٢٩ھ، ص٣١-٣٢ .و. رجب ١٣٢٩ھ، ص٣٥-٣٦

(٢٢) مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی: الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص١٠٥

(٢٣) نزهة الخواطر: الشیخ عبدالحی الحسنی، ج٨ ، ص٢٧٩ .و. هند و پاك میں عربی ادب: اقبال احمد سلفی، ص١١٣

(٢٤) هند و پاك میں عربی ادب: اقبال احمد سلفی، ص١١٣ ۔و۔ نزهة الخواطر: الشیخ عبدالحی الحسنی، ج٨ ، ص٢٧٨

(٢٥) المدائح النبویة فی الهند: محمد صدرالحسن الندوی، ص٤١٠

(٢٦) المصدرالسابق: ص٤١١

(٢٧) العرف الطیب فی شرح دیوان ابی الطیب: الشیخ ناصیف الیازجی، الجزء الاول، ص٢٧٤

(٢٨) تاریخ دارالعلوم دیوبند: سید محبوب رضوی، ج٢، ص١٣٧-١٣٨ ۔و۔ اکابر علماء دیوبند: حافظ محمد اکبر شاه بخاری، ص٢١٥ــ٢٢٠ ۔و۔ مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی: الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص٢٤٠

(٢٩) اکابر علماء دیوبند: حافظ محمد اکبر شاه بخاری، ص٢١٩

(٣٠) مساهمة دارالعلوم بدیوبند فی الادب العربی: الدکتور زبیر احمد الفاروقی، ص٩٦

(٣١) المصدرالسابق: ص١٠٧

(٣٢) المصدرالسابق: ص١٠٨

(٣٣) المصدرالسابق: ص٢٥١-٢٥٣

(٣٤) المصدرالسابق: ص١٣٠

(٣٥) المصدرالسابق: ص١٠٢-١٠٣

(٣٦) المصدرالسابق: ص١٠٣-١٠٤

الخاتمة

يمكن الاستنتاج مما سبق ذكره فى استعراض المديح النبوى فى الشعر العربى فى الهند أن القصائد التى فاضت بها قرائح الشعراء الهنود فى مدح النبى الكريم ﷺ لا تقل عن مساهمتهم فى أصناف الشعر الاخرى كما و نوعا، و ان هذه الآثار الشعرية ليست الا التعبير القوى الصادق العميق عما كانت تجيش فى خاطر الشاعر من أحاسيس الحب والإجلال والإكبار تجاه النبى الكريم ﷺ، وقد تجلت فى هذه القصائد عبقرية الشاعر و دقة حسه و رقة شعوره و صفاء طبعه و ذكاء قلبه و حدة خاطره، والكلمات والتعبيرات التى استخدمها الشعراء تلائم المدائح النبوية، ففيها الرقة والعذوبة والسهولة والوضوح حينا والإجمال والبساطة والإسهاب حينا آخر، وقد سلك الشعراء مسالك فى التعبير عن الحب الكامن فى أعماق قلوبهم فحملت هذه القصائد ميزات و خصائص جعلتها فريدة من دون ما سواها.

كما يتميز الشعر عن النثر بأنه لغة العاطفة والوجدان، فيتفق شعر المديح النبوى مع الشعر بصفة عامة فى هذه الميزة، والشعر ينفذ الى قلب السامع و يتجه الى ضمير القارى، فشعر المديح النبوى أكثر نفوذا الى قلب السامع و أشد تاثيرا فى وجدان القراء، ذلك لأن العاطفة الدينية لها تاثير على البشر و الشعور الاسلامى له أثر فى الانسان، و شعر المديح النبوى مرتبط بالعاطفة الدينية، متصل بالشعور الاسلامى، فهو أقدر على تحريك العواطف و أقوى على إثارة الوجدان.

و يتميز شعر المديح النبوى عن النثر، كما يتميز الشعر عنه بصفة عامة، لموسيقاه المعبرة و رنينه المؤثر و جرسه المنتظم و ذلك من شانه أن يساعد الكلمة على النفوذ الى القلوب و يعاونها فى السيطرة على النفوس و ياخذها بيدها الى الوجدان.

و من الميزات التى ينفرد بها شعر المديح النبوى عما سواه هى ان الروح

الاسلامية مليئة فيه، فلا تخرج موضوعاته عن بيان شمائل الرسول ﷺ و عاداته و كمالاته و معجزاته و مجاهداته فى سبيل نشر الرسالة السماوية الاخيرة و مواجهته المصائب والمعاناة، فالروح السامية الاسلامية تسيطر على الشاعر و المشاعر الدينية الرفيعة تعمل عملها فى العقول والقلوب و ينطق الشاعر بالمديح النبوى الصادر عن عاطفة انسانية نبيلة و حب عميق للنبى الكريم ﷺ .

و ميزة اخرى ينفرد بها شعر المديح النبوى عن الشعر بصفة عامة هى سهولة اللفظ و سيولة التعبير، ذلك أن هذا اللون من الشعر يخاطب عامة المسلمين فكان لزاما على شعر المديح النبوى ان يختار العبارات السهلة والكلمات الواضحة ليكون أقرب الى الفهم و أقدر على التاثير و أسهل فى الحفظ .

و ميزة اخرى ينفرد بها شعر المديح النبوى عما سواه بانه يستوحى افكاره و معانيه من كتاب الله و سنة رسوله، فالشاعر لا يستطيع ان يتخطى الدائرة التى أحاطه بها الشرع ولا يبغى عنها بديلا .

هذه هى من أهم الميزات التى يتزين بها شعر المديح النبوى، و اما فيما يتعلق بمحتويات القصائد فى مدح النبى ﷺ فقد رأينا أثناء الدراسة ان العدد الغير قليل من الشعراء بدأوا قصائدهم بالغزل والتشبيب والنسيب سالكين مسلك الشعراء القدامى من الجاهليين و غيرهم، و هذا لأن الانسان مفطور على الاحتذاء، فالشعراء خطوا خطوات من سبقهم من الأدباء والشعراء و احتذوا حذوهم .

كما وجدنا أن الشعراء لم يستهدفوا من إنشاد القصائد الأغراض المادية والمنافع الشخصية، بل كان هدفهم الوحيد دفع ضريبة الحب العميق تجاه النبى الكريم ﷺ و ذكر خصاله العظيمة و شمائله الكريمة و اذاعة مكارمه و نشر محامده و بيان فضائله انطلاقا من مبدأ الشعور بمننه على الانسانية، فلم تكن القصائد الا رمزا عن المكافأة عن اليد التى لا يستطاع أداء حقها الا بالشكر بالقول، فحاول كل من الشعراء ان يتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان ويصرف مؤهلاته العلمية

والادبية كلها فى تحبير المديح النبوى و تطريزه، فحالفهم التوفيق تارة وجانبهم السداد تارة اخرى .

ان المديح النبوى له علاقة مباشرة بالدين و الحدود التى حددها الشرع فى الوصف والمدح و بيان الشمائل، فقد رأينا خلال دراسة القصائد ان بعض المادحين تخطوا حمى الشريعة الاسلامية واستغاثوا بالرسول ﷺ واستعاذوا به وخلعوا بعض صفات الله تعالى على رسوله ﷺ، وهذا لا يجوز ابدا مهما كانت الظروف والأحوال، لأن الرسول ﷺ كان بشرا نبيا ولم يكن الى درجة الاله، فالذين استعانوا واستغاثوا به كأنهم ألّهوه عمدا او بغير عمد، والشرك قد حذّره الله منه فى كتابه والرسول ﷺ فى احاديثه .

رأيت أثناء دراستى أن الشعراء الهنود الذين أنشأوا قصائد فى مدح النبى ﷺ خلال القرن العشرين، أكثرهم مقلون وقصائدهم تتزاوح بين قصيدة أو قصيدتين الا العدد الضئيل منهم، فقصائدهم تقل من قصائد الشعراء المكثرين من المتقدمين أمثال حسان الهند غلام على آزاد البلغرامى و الشاه ولى الله الدهلوى و باقر بن مرتضى المدراسى و غيرهم، وتزيد على قصائد المقلين .

و اما ما يتعلق بلغة القصائد و اسلوبها، فرأيت أثناء دراستى، انها، فى معظم الأحيان، تمتاز بدقة التعبير و جودة الصوغ و سمو الاسلوب و قوة السبك والبيان و تلاحم النسيج و تحمل فى طياتها تلك الروعة والجزالة والجلالة التى تضفى على الآثار الادبية لونا من الخلود والقداسة والتى تصغى اليها الأفئدة و تميل اليها النفوس و تستلذ بها الآذان حين سماعها، و ذلك لأن هذه القصائد تنم عن الحب والاخلاص من الشاعر تجاه النبى الكريم ﷺ .

فلا ريب فى أن هذه القصائد تدل على قدرة الشعراء الهنود على قرض الشعر و تمكنهم من ناصية البحور والاساليب العربية كما تدل على صلاتهم القوية الوطيدة باللغة العربية واتخاذها وسيلة للتعبير عن انطباعاتهم و مشاعرهم و أحاسيسهم

لأداء ضريبة الحب والغرام تجاه النبى الكريم ﷺ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربية:

١۔ القاضی ابوالمعالی اطهر المبارکفوری: رجال السند والهند، المطبعة الحجازية، بومبای، ١٩٥٨م

٢۔ ابوالحسن علی الندوی: المسلمون فی الهند، المجمع الاسلامی العالمی، ندوة العلماء لکناؤ، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م

٣۔ ابو تمام: ديوان الحماسة، المکتبة الرحيمية، ديوبند

٤۔ الدکتور احمد ابوحاقة: الالتزام فی الشعر العربی، دارالعلم للملايين بيروت، ١٩٧٩م

٥۔ احمد محمد شاکر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، الجزء الاول، دارالمعارف القاهرة، ١٩٥٨م

٦۔ احمد محمد شاکر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، الجزء الثانی، دارالمعارف القاهرة، ١٩٥٨م

٧۔ ابوالبقاء العکبری: شرح ديوان ابی الطيب المتنبی، الجزء الاول، دارالمعرفة بيروت، لبنان

٨۔ احمد شوقی: الشوقيات، المجلد الاول، الجزء الاول

٩۔ ابو طاهر سيف الدين: قصيدة نعتية، مطبوعة ١٣٦١ھ

١٠۔ ابو طاهر سيف الدين: قصيدة نعتية، مطبوعة ١٣٧٢ھ

١١۔ بدرالحسن القاسمی: امام العصر الشيخ محمد انور شاه الکشميری، لجنةالنشر والطباعة لمکتب الاحتفال المئوی لدارالعلوم، ديوبند

١٢۔ الشيخ حبيب الرحمن العثمانی: معين اللبيب فی جمع قصائد الحبيب، المکتبة الاعزازية، ديوبند

١٣۔ الشيخ حبيب الرحمن العثمانی: قصيدة لامية المعجزات، مطبع قاسمی، ديوبند، ١٣٤٣ھ

١٤۔ حيلة جاسم: وحدة القصيدة فی الشعر العربی حتی نهاية العصر العباسی، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢م

١٥۔ ديوان الاعشی: دار صادر، بيروت، لبنان

١٦۔ ديوان البارودی: المجلد الاول، الجزء الاول

١٧۔ الدکتور زکی مبارک: المدائح النبوية فی الادب العربی، مطبعة مصطفی البانی الجلبی و

أولاده بمصر، ١٩٣٥م

١٨۔ الدكتور زبير احمد الفاروقی: مساهمة دارالعلوم بديوبند فی الادب العربی حتی عام ١٩٨٠م، دارالفاروقی للطباعة والنشر، نيو دلهی، الطبعة الاولی، ١٩٩٠م

١٩۔ الدكتور سامي مكی العاني: دراسات فی الادب الاسلامی، ساعدت جامة بغداد علی نشره، ١٩٧٥م

٢٠۔ الدكتور سامي مكی العاني: ديوان كعب بن مالك الانصاری، دراسة و تحقيق، مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الاولی، ١٩٦٦م

٢١۔ سامی الدهان: المديح، دارالمعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م

٢٢۔ الدكتور سعيد الرحمن الأعظمی الندوی: شعراء الرسول فی ضوء الواقع والقريض، مكتبة فردوس، مكارم نكر لكناؤ، ١٩٩٧م

٢٣۔ الشاه ولی الله الدهلوی: أطيب النغم فی مدح سيد العرب والعجم، مطبع منشی امجد علی، مرادآباد

٢٤۔ الدكتور شوقی ضيف: تاريخ الادب العربی العصر الاسلامی، الطبعة الرابعة، دارالمعارف بمصر

٢٥۔ نواب صديق حسن خان: ابجد العلوم، المطبعة صديقی بهوبال، ١٢٩٥ھ

٢٦۔ عبد الكريم توفيق العبود: الشعر العربی فی العراق من سقوط السلاجقة حتی سقوط بغداد، منشورات وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٦م

٢٧۔ الشيخ عبدالحی الحسنی: نزهة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر، الجزء السادس، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد، ١٩٥٧م

٢٨۔ الشيخ عبدالحی الحسنی: نزهة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر، الجزء السابع، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد، ١٩٥٩م

٢٩۔ الشيخ عبدالحی الحسنی: نزهة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر، الجزء الثامن، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد، ١٩٧٠م

٣٠۔ الشيخ عبدالحی الحسنی: الثقافة الاسلامية فی الهند، المجمع العلمی العربی بدمشق، ١٩٥٨م

٣١۔ الشيخ عبد الغنی بن الحاج عبدالرحمن البنداق: مولد خير البرية محمد صلی الله عليه

وسلم، منشورات "النسر" بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٥٤م

٣٢۔ عبدالرحمن البرتوتی: شرح دیوان حسان بن ثابت الانصاری، دارالاندلس للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م

٣٣۔ علی بن حمد الله حمد: دعوة الامیر العالم صدیق حسن خان و احتسابه، مکتبة الرشد ناشرون، ریاض، الطبعة الاولی، ٢٠٠٣م

٣٤۔ البروفیسور عبدالعلی: القاضی عبد المقتدر الدهلوی بصفته شاعرا عربیا، مقالة عربیة

٣٥۔ العلامة غلام علی آزاد البلغرامی: سبحة المرجان فی آثار هندوستان، معهد الدراسات الاسلامیة، جامعة علیکره الاسلامیة، الطبعة الاولی، ١٩٧٦م

٣٦۔ الدکتور محمد صدرالحسن الندوی المدنی: المدائح النبویة فی الهند، الجزء الاول، اومیه پریس اورنك آباد، الطبعة الاولی، ٢٠٠٧م

٣٧۔ محمد وحید الدین العالی الحیدرآبادی: الجواهر الزاهرة فی مدح النبی و آله الطاهرة، نیشنل فائن پرنٹنگ پریس چارکمان حیدرآباد، دکن، ١٩٥٨م

٣٨۔ محمد یٰسین اختر الأعظمی: المدیح النبوی، قسم النشر والتوزیع للجامعة الأشرفیة بمبارکفور، أعظم کره، اترابرادیش

٣٩۔ محمد یوسف البنوری: نفحة العنبر فی حیاة امام العصر انور، المجلس العلمی دابهیل

٤٠۔ الدکتور ماهر حسن فهمی: شوقی شعره الاسلامی، دارالمعارف بمصر

٤١۔ الشیخ ناصیف الیازجی: العرف الطیب فی شرح دیوان ابی الطیب، الجزء الاول، دار صادر بیروت

٤٢۔ یحیی الجبوری: الاسلام والشعر، مکتبة النهضة بغداد، ١٩٦٤م

٤٣۔ الدکتور یوسف عزالدین: الشعر العراقی اهدافه و خصائصه فی القرن التاسع عشر، الدار القومیة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م

المجلات العربیة:

٤٤۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، دیسمبر ٢٠٠٦م

٤٥۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، ینایر ٢٠٠٧م

٤٦۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، فبراير ١٩٩٠م

٤٧۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، فبراير، مارس ١٩٩٥م

٤٨۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، ابريل ١٩٩٨م

٤٩۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، مايو، يونيو ١٩٩٨م

٥٠۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، يناير ١٩٧٩م

٥١۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، نوفمبر، ديسمبر ١٩٩٠م

٥٢۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، ديسمبر ١٩٩٨م

٥٣۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، سبتمبر، اکتوبر ١٩٧٨م

٥٤۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٨م

٥٥۔ مجلة البعث الاسلامی: دارالعلوم ندوة العلماء لکناؤ، ديسمبر ١٩٧٨م

٥٦۔ مجلة الداعی: دارالعلوم بديوبند، اکتوبر، نوفمبر ٢٠٠٢م

الکتب الأردية:

٥٧۔ اقبال احمد سلفی: هند و پاک میں عربی ادب، مطبع تاج آفسٹ پريس اله آباد، ١٩٨٢ء

٥٨۔ قاضی اطهر مبارکپوری: عرب و هند کے تعلقات عهد رسالت میں، ندوة المصنفين جامع مسجد، دهلی، ١٩٦٥ء

٥٩۔ سر سيد احمد خان: آثار الصنادید، قوم کونسل برائے فروغ اردو زبان، دهلی، طبع رابع، ٢٠٠٣ء

٦٠۔ علامه سيد سليمان ندوی: ياد رفتگاں

٦١۔ شمس تبريز خان: عربی ادب میں هندوستان کا حصه عهد سلطنت دهلی میں ١٢٠٦ء تا ١٥٢٦ء، نظامی پريس لکهنو، ١٩٨٩ء

٦٢۔ ڈاکٹر عبد الله عباس ندوی: عربی میں نعتيه کلام، مکتبه اسلام لکهنو، ٢٠٠٥ء

٦٣۔ عبد الرحمن کوندو: الأنور شيخ الحديث حضرت علامه انور شاه کشميری کی سوانح حيات اور کمالات و تجليات، ندوة المصنفين اردو بازار جامع مسجد، دهلی، ١٩٧٦ء

٦٤۔ سيد عبد الحی حسنی: اسلامی علوم و فنون هندوستان میں، دار المصنفين اعظم گڑه،

١٩٦٩ء

٦٥۔ ظفیر الدین: مشاهیر علمائے دارالعلوم دیوبند، ط دیوبند، ١٩٨٠ء

٦٦۔ علامة فضل حق خیرآبادی: باغی هندوستان، مکتبه قادریه لاهور، طبع ثالث، ١٩٧٨ء

٦٧۔ سید محمد میاں دیوبندی: علماء هند کا شاندار ماضی، مطبوعه الجمعیة پریس، دهلی، طبع ثالث، ١٩٦٣ء

٦٨۔ قاری محمد رضوان الله: مولانا انور شاه کشمیری حیات اور علمی کارنامے، علی گڑه مسلم یونیورسٹی، ١٩٧٤ء

٦٩۔ سید محبوب رضوی: تاریخ دارالعلوم دیوبند، جلد اول، اداره اهتمام دارالعلوم دیوبند، ١٩٧٧ء

٧٠۔ سید محبوب رضوی: تاریخ دارالعلوم دیوبند، جلد دوم، سیر کتب خانه مرکز علم و ادب، آرام باغ کراچی

٧١۔ ڈاکٹر محمد یونس نگرامی ندوی: هندوستان میں عربی علوم و فنون کے ممتاز علماء اور ان کے علمی کارنامے، مطبع نامی پریس لکهنو، ١٩٧٩ء

٧٢۔ مولانا مناظر احسن گیلانی: تذکره شاه ولی الله دهلوی، مطبع دوآبه پریس لاهور، ١٩٤٦ء

٧٣۔ محمد ثانی حسنی: تذکره مولانا محمد یوسف، تنویر پریس لکهنو، ١٩٦٧ء

٧٤۔ محمد میاں صدیقی: تذکره مولانا محمد ادریس کاندهلوی، ط لاهور، ١٣٩٦ھ

٧٥۔ حافظ محمد اکبر شاه بخاری: اکابر علمائے دیوبند، اداره اسلامیات لاهور، کراچی، ١٩٩٩ء

المجلات الأردية:

٧٦۔ مجلة القاسم: دارالعلوم دیوبند، ربیع الاول ١٣٢٩ھ

٧٧۔ مجلة القاسم: دارالعلوم دیوبند، رجب ١٣٢٩ھ

٧٨۔ مجلة ندائے شاهی: نعت النبی نمبر (جامعة قاسمیة مدرسة شاهی مرادآباد) اکتوبر ٢٠٠٣ء

الكتب الانجليزية:

79. Maqbool Ahmad: Indo-Arab Relations, Bombay, 1969

80. M.G. Zubaid Ahmad: The Contribution of India to Arabic Literature, Maktaba-i-Din-o-Danish, Jullundur City, Punjab

محتويات البحث

المقدمة	١
الباب الاول: تطور المديح النبوى فى الادب العربى	
تطور المديح النبوى فى الادب العربى	٩
الهوامش	٣١
الباب الثانى: شعراء المديح النبوى الكبار فى الهند	
الفصل الأول: بعض شعراء المديح النبوى من المتقدمين	٣٤
القاضى عبدالمقتدر الكندى الدهلوى	٣٧
الشيخ احمد بن محمد التهانيسرى	٤٢
الشاه ولى الله الدهلوى	٤٥
حسان الهند السيد غلام على آزاد البلغرامى	٥٠
الشيخ عبدالعزيز الدهلوى	٥٥
الشاه رفيع الدين الدهلوى	٥٨
الشيخ باقر بن مرتضى المدراسى	٦٠
الفصل الثانى: الشيخ فضل حق الخيرآبادى	٦٤
الفصل الثالث: الشيخ حبيب الرحمن العثمانى	٧٧
الفصل الرابع: العلامة انور شاه الكشميرى	٨٩
الهوامش	٩٩
الباب الثالث: الشعراء الهنود الآخرون و قصائدهم فى مدح النبى ﷺ	
الشيخ احمد بن عبدالقادر الشافعى الكوكنى	١٠٣
الشيخ على بن ابى الحسن الشيعى التسترى الحيدرآبادى	١٠٦
الشيخ عبد الحى بن احمد السورتى	١٠٩
الشيخ عبد المنعم الجاتغامى	١١٢

حبیب ابو بکر بن شهاب العلوی ١١٤
الشیخ محمد وحید الدین العالی الحیدرآبادی ١١٧
الشیخ اشرف الشمسی الحیدرآبادی ١٢٠
الشیخ عبدالرحمن السیوهاروی ١٢٣
الشیخ عبد القدیر الحیدرآبادی ١٢٦
ابو محمد طاهر سیف الدین ١٢٩
الشیخ محمد ادریس الکاندهلوی ١٣٢
الشیخ محمد یوسف البنوری ١٣٥
الهوامش ١٣٩
الخاتمة ١٤١
قائمة المصادر والمراجع ١٤٥
محتویات البحث ١٥١

The Encomium on Holy Prophet in Indian Arabic Poetry

during the 20th Century

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University in partial fulfilment of the requirements for the award of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

TALHA FARHAN

UNDER THE SUPERVISION OF

PROF. F.U. FAROOQI

CENTRE OF ARABIC AND AFRICAN STUDIES
SCHOOL OF LANGUAGE, LITERATURE AND CULTURE STUDIES
JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY
NEW DELHI-110067

2008